

الشيخ يوسف بن عيسى القناعي

دوره في الحياة الاجتماعية والسياسية في الكويت

تأليف الدكتورة
نجاة عبد القادر الجاسم

الشيخ يوسف بن عيسى القناعي

دوره في الحياة الاجتماعية والسياسية

في الكويت

تأليف الدكتورة

نجاة عبد القادر الجاسم

ساهمت بجمع المادة العلمية المحلية : ليلى محمد صالح

الطبعة الثانية - الكويت - ٢٠٠٧م

اهداء

للحياة معنى
للوجود غاية
للانسان قيمة
فالى من يدرك معنى الحياة
وغاية الوجود
والى من يعي قيمة الانسان

اهدي هذا المجهود

شكر وامتنان

أتقدم بالشكر الجزيل الى كل من الآنسة ليلى محمد صالح التي ساهمت في جمع المادة العلمية المحلية ، حيث أنها أجرت مقابلات مع السادة : سيف مرزوق الشملان ، حمد يوسف العيسى ، عبد الرزاق البصير .

كما أنها حصلت على بعض المعلومات المكتوبة من السادة المرحوم الملا محمد صالح التركيت والمرحوم الدكتور علي عبد المنعم وبدر خالد البدر .

بالاضافة الى تسجيلات المقابلات التلفزيونية التي أجراها الأستاذ سيف الشملان مع الشيخ يوسف بن عيسى ، وبعض المراجع وهي : كتاب الملتقطات ــ والمذكرة الفقهية والدراسة التي أعدتها مدرسة الشيخ يوسف بن عيسى الثانوية والمقالات التي كتبها الأستاذ سيف الشملان في مجلة مرآة الأمة عن الشيخ يوسف .

وأتقدم بخالص الشكر الى الأستاذ سيف مرزوق الشملان لسعة صدره وتعاونه الصادق اذ قدم لي بعض الوثائق الهامة المتعلقة بالشيخ يوسف وكذلك اشكره على الصور والمعلومات القيمة الأخرى التي زودني بها .

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى السيدة مي يوسف العيسى ــ والسيد حمد يوسف العيسى والأساتذة بدر خالد البدر ــ عبد العزيز عبد الرزاق المطوع ــ عبد الرزاق البصير ــ المرحوم محمد ملا صالح ــ والدكتور عبد الرسول عبد الرضا والدكتور المرحوم على عبد المنعم ، ولأسرته التي زودتني بمؤلف الدكتور وأشكر الاستاذ الدكتور سعد زغلول فقد ترجم لي بعض الصفحات من اللغة الفرنسية من مؤلف الدكتور علي عبد المنعم .

مقدمة

في ماضي الشعوب وحاضرها كثير من الشخصيات التاريخية الوطنية التي حملت راية الاصلاح والتجديد والتطوير ، وفي الكويت يوجد عدة نماذج لمثل تلك الشخصيات ، كان أكثرها شهرة وفعالية الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، المصلح الاجتماعي الأول ، رجل الدين والفقه الذي كان علماً ومصلحاً اجتماعياً مؤثرا ذائع الصيت وكانت نشاطاته وأعماله متصلة اتصالا مباشرا بمصالح المجتمع الكويتي بشكل خاص والعربي والاسلامي بشكل عام ، فلم يكن نفعها مقتصرا على الجيل الماضي فحسب وانما على الجيلين الحاضر والمستقبل .

كان يُحَكِمْ الدين والعقل والمنطق في مواقفه ، وكان الأساس والمهم بالنسبة له هو الالتزام بالصدق والعدل والثبات على المبدأ .

لقد أمضى عمره منذ نعومه أظفاره منكبا على العلم والمطالعة خاصة في شئون الدين الاسلامي ، وبرز علَماً من أعلام الكويت وحفلت حياته بالاحداث التي شهدتها الكويت وقام خلالها — بدور رئيسي ومؤثر ، لقد دأب على اعلان الرأي الذي كان يعتقد أنه الصواب رضى الأخرون به أم لم يرضوا ، كان حر الضمير قولا وفعلا ، يزن كل كلمة تصدر عنه بميزان دقيق .

وهذا الكتاب ما هو الا محاولة متواضعة لدراسة دور الشيخ يوسف بن عيسى في تاريخ الكويت وكنت أتطلع لدى البدء بالاعداد لها الى الحصول على أوراقه الخاصة لكونها أحد المراجع الاساسية ، ولكن لم أستطع سوى الحصول على عدد محدود منها زودتني بها كريمته السيدة مي والتي أكدت عدم وجود غيرها والحقيقة أن كل طالب معرفة ، باحث عن الحقيقة يتألم عندما يكتشف ندرة المصادر الخاصة بمثل هذه الشخصيات التي يعد التأريخ لها تأريخا لبلدها كما هو الحال مع شيخنا الجليل وكويتنا الغالية .

وقد حاولت جاهدة العثور على محاضر جلسات المجالس التي كان الشيخ

يوسف أحد أعضائها أو نائبا لرئيسها مثل مجلس الشورى سنة ١٩٢١ والمجلس التشريعي الأول والثاني سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ ومجلس المعارف ولكن دون جدوى ، أما بالنسبة للمجالس البلدية فانها لاتحتوي على تفاصيل جلسات المجلس .

وفي محاولة للتعويض عن النقص في مثل هذه المصادر الرئيسية قمناباجراء عدد من المقابلات مع شخصيات كويتية ممن عاصرت الشيخ يوسف كما استفدت من المقابلات التلفزيونية التي سبق للاستاذ سيف الشملان أن أجراها مع الشيخ يوسف في الستينات . وقد كان كتاب صاحب الترجمة « الملتقطات » ذا أهمية خاصة بالنسبة للدراسة فمن خلاله يتبين للباحث بعض أراء ووجهات نظر الشيخ يوسف في كثير من الأمور هذا بالاضافة الى الاستعانة بعدد من الوثائق البريطانية الهامة ومجموعة من المراجع المختارة والتي يجدها القارىء مدونة في قائمة المصادر .

وعلى أية حال فان هذه الدراسة تجيء السباقة في تناولها للشيخ يوسف بن عيسى ودوره في تاريخ الكويت الحديث وهي في مجملها استعراض شامل لدور هذا الرجل المصلح .

والحمد لله رب العالمين .

رمضان ١٤٠٩هـ
ابريل ١٩٨٩

مقدمة الطبعة الثانية

يعتبر المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى من أهم الشخصيات الكويتية التي لا يمكن تجاهل بصماتها التي تركتها في المجتمع الكويتي، وهذه حقيقة تاريخية،فإذا بحثنا وقرأنا في تاريخ التعليم نجد اسم الشيخ يوسف، وإذا بحثنا في نشأة المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني نجد اسم الشيخ يوسف، وإذا بحثنا في نشأة الحياة النيابية أيضا نجد اسم الشيخ يوسف، ذلك الإنسان الذي قدم وأخلص في العطاء والذي قال عنه المؤرخ الشيخ عبدالعزيز رشيد يرحمه الله: «الشيخ يوسف مصلح الكويت الفذ».

والله ولي التوفيق.

دولة الكويت

١٨ ربيع الآخر ١٤٢٨

٥/ مايو ٢٠٠٧

تمهيد

احتلت الكويت منذ أواخر القرن الثامن عشر مركزا هاما في المنطقة المحيطة بها ، وكان لها صلات تجارية مع البلدان المجاورة ، ومع الهند وشرق أفريقيا وغيرها من بلدان العالم ، ونمت وتطورت هذه الصلات ، على مر السنين ، فكانت السفن الشراعية الكويتية تجوب مياه الخليج العربي والمحيط الهندي تحمل السلع من مختلف الدول لتعيد تصديرها الى دول مجاوره ، ولقد ارتبط اقتصاد الكويت كغيرها من دول الخليج العربي ارتباطا وثيقا بالاقتصاد التقليدي ، المرتبط بالبحر ، وكان لموقعها الجغرافي أثره الواضح في تحديد الأنشطة الاقتصادية لسكانها فكان الغوص على اللؤلؤ والنقل التجاري (السفر) ، وصيد الأسماك بالاضافة الى بعض الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالصحراء مثل رعي الأغنام ، ولكن بشكل عام فان هذه الأنشطة لم تكن توفر الامن المعيشي للأهالي ، ويعتبر الغوص المهنة الرئيسية لسكان الكويت وكان العاملون به يمثلون أكبر وأهم قطاع من قطاعات المجتمع الذي كان يتسم بالبساطة في علاقاته الاجتماعية ، وكان هذا المجتمع يضم عدة طبقات فهناك الشيوخ وهم أفراد الأسرة الحاكمة والتجار الذين يعتمد عليهم تمويل عمليات الغوص ، وصغار التجار والنواخذة ، وأما الطبقة الأكبر والأهم فهم الغواويص والسيوب والبحارة بشكل عام ، الذين هم عماد رحلات الغوص والسفر وهؤلاء كانوا يعانون من شظف العيش وثقل الديون التي يضطرون اليها قبل رحلة الغوص لتمويل عائلاتهم ، وكانت تلك الديون تلاحقهم ويتحملها أبناؤهم من بعدهم فأما تسديدها أو العمل لدى الدائن .

ومع أن هذه الطبقة كانت تعاني أكثر من غيرها من قسوة الحياة ، الا أن المجتمع الكويتي في تلك الفترة بجميع طبقاته كان يعاني من ضيق الموارد الاقتصادية .

ولقد شجع موقع الكويت ، وحرية التجارة فيها وانخفاض الرسوم الجمركية واستتباب الأمن جماعات من تجار البلدان المجاورة وغيرهم على الهجرة الى الكويت

وبذلك تحولت اليها رؤوس أموال شكلت عاملا هاما في ازدهار اقتصادها .

ولقد انعكست هذه المهن على العلاقات الاجتماعية فكان الصبر والتعاون والثقة فيما بين أفراد المجتمع ، اما التعليم فقد ارتبط في ذلك الوقت بحاجات المجتمع فكان بسيطا يتمثل في بعض الكتاتيب التي يتعلم فيها الأولاد قراءة القرآن الكريم والحساب (الجمع والطرح) ولم تكن القراءة والكتابة منتشرة بين السكان ، فكان عدد الذين يعرفون الكتابة في السبعينات من القرن التاسع عشر قليلين وأشهرهم « من آل العدساني وهم قضاه الكويت ، وعبد الرحمن البودي وحمد البودي ومحمد الفارسي والملا عمر » ، بالاضافة الى عدد قليل من الاهالي الذين تعلموها خلال اسفارهم الى الاحساء والعراق أو من خلال اتصالهم بضيف تصادف وجوده بينهم ، أو بالنقل عن مكتوب تحفظ عبارته .(١)

وما أن حلت الثمانينات من القرن التاسع عشر حتى ازداد عدد المتعلمين بدرجة جعلت بعضهم يعكف على تعليم الأبناء مباديء القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ومع ذلك فقد ظل المجتمع الكويتي يعيش تحت مظلة الجمود والجهل والتزمت وكانت جهود أفراده مركزه في مواجهة شظف العيش والعمل على تحصيل الرزق بكافة السبل المتاحة في ظل قلة الموارد .

أما من الناحية السياسية فكانت الكويت مستقلة في شئونها مرتبطة بالدولة العثمانية من الناحية الاسمية فلم يكن لتلك الدولة أي نفوذ فعلي بها ، وكان يدير شئونها حاكم من أسرة الصباح التي هاجرت من نجد في النصف الثاني من القرن السابع عشر واستقرت في الكويت في أوائل القرن الثامن عشر .

في ظل هذه الظروف ولد ونشأ وتربى الشيخ يوسف بن عيسى بن محمد بن حسين بن سلمان بن علي بن محمد بن سرى القناعي .

القناعات

القناعات من قبيلة السهول[٢] فرع (الزقاعين)، والقصب هي موطن القناعات الأصلي، وهي إحدى قرى ناحية الوشم في نجد والتي تضم العديد من البلاد والقرى والمعروف أن موطن السهول هو قلب شبه جزيرة العرب والإحساء[٣]. وللقناعات حارة في مدينة الرياض عبارة عن سوق تجاري قديم يقع غرب الجامع الكبير شمال الحفرة[٤].

يصعب تحديد تاريخ هجرتهم بدقة من موطنهم في نجد واستقرارهم في الكويت وذلك كما هي الحال بالنسبة لغيرهم من المهاجرين لكن يمكن القول إنهم هاجروا من القصب في أواخر القرن السابع عشر حيث تفرقوا إلى جماعات، فهناك من اتجه صوب مدينة الزبارة في قطر، والبعض اتجه إلى البحرين، ومجموعة أخرى إلى البصرة، وهكذا إلى أن استقر بهم المقام في الكويت في العقد الأول أو الثاني من القرن الثامن عشر، ولهم بعض الآثار في هذه البلدان كما أشار المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه صفحات من تاريخ الكويت، والذي يرجح هذا التاريخ هي الوثيقة المخطوطة التي عثر عليها المرحوم الشيخ يوسف، وهي بعنوان «التيسير نظم العمريطي في فقه الشافعية» بخط المرحوم عثمان بن علي بن محمد سري القناعي، ومما جاء فيها ما يلي:

«تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه على يد الفقير عثمان بن علي بن محمد بن سري الجناعي نسبا، والشافعي مذهبا والقرين مولدا».

وتعد هذه الوثيقة من أقدم المخطوطات التي تم نسخها في الكويت، وللأسف تخلو من تاريخ يحدد سنة نسخها، لكن المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى يرى أن تاريخ نسخها هو (١٢٠٠هـ - ١٧٨٥م) وكما أشار إلى أن وجود القناعات في الكويت يعود إلى عام ١١٨٠هـ - ١٧٦٦م[٥].

والمعروف أن كلمة القرين هو الاسم القديم للكويت والمرحوم عثمان نسخ الوثيقة

وهو في الكويت وأشار إلى ولادته في القرين فإذا افترضنا أنه نسخها وهو في العشرين من عمره، هذا يعني أنه ولد في ١٧٦٥م مما يعني أن هجرة القناعات كانت في مطلع القرن الثامن عشر، وكان المرحوم الشيخ يوسف قد عثر على كتاب صغير في بيت المرحوم (الشيخ فرج) كتبه المرحوم عثمان بن سري يحتوي على مجموعة قصص خرافية عن الأنبياء والأولياء، وفيه قصة الحشر، وتاريخ كتابته سنة ١٢١٣هـ(١٧٩٨م) كما عثر على ورقة وصية تعود لابنة المرحوم عثمان وقد أوقفت أرض لها عند وفاتها بهذه السنة وهي ١٢٤٠هـ-١٨٢٤م[٦].

على أي حال فإن هناك مجموعة من القناعات لم تهاجر من بلدة القصب، ولكن الغالبية العظمى منهم استقروا في الكويت، ومنذ البداية كان لهم شأنهم المؤثر في مجريات الأمور، ويذكر المرحوم الشيخ عبدالعزيز رشيد أن من رجالات القناعات المعروفين المرحوم ياسين بن علي بن سري القناعي فقد كان من أخص أصدقاء المرحوم الشيخ عبدالله بن صباح (عبدالله الأول)[٧] وكان بمثابة الوزير والمستشار له والشيخ عبدالله حكم الكويت فترة طويلة تمتد إلى سبعين عاما وتوفي ١٢٢٩هـ أي حكم خلال الفترة (١٧٤٦-١٨٣١م)، وللمرحوم ياسين بعض الآثار قليبات ياسين التي تقع في النصف من طريق الجهرة إلى الكويت، وقصر ياسين[٨] بالإضافة إلى مسجد ياسين الذي تم تشييده سنة ١١٩٩هـ ١٧٨٤م، ويقع جنوب البنك المركزي[٩].

وهكذا كان المرحوم سلطان بن باشق القناعي عند الشيخ جابر الأول ١٢٢٩-١٢٧٦هـ (١٨١٣-١٨٥٩م) والمرحوم محمد بن حسين بن سري عند المرحوم الشيخ صباح الثاني (١٨٥٩ - ١٨٦٦م) والمرحوم محمد بن حمدان القناعي عند الشيخ عبدالله الثاني (١٨٦٦- ١٨٩٢م)[١٠].

هذا وكان المرحوم محمد بن حمدان من الأثرياء وتجارته كانت في الأرز بالمناخ[١١].

أما المرحوم سالم بن بدر بن محمد بن بدر القناعي فقد كان أيضا من الشخصيات ذات التأثير عند المرحوم الشيخ محمد الصباح (١٨٩٢ - ١٨٩٦م) وكان مستشارا، رغم هجرته من الكويت في عام (١٢٧٧هـ- ١٨٦٠م) إلى البصرة لأسباب وأهداف تجارية فقد كان ثريا، ومما جاء عنه في أحد المصادر وذلك في معرض الحديث عن

البيوت الرفيعة هناك: ما يلي ومنهم سالم البدر الكويتي، وهو من الثقات الأخيار له من الثروة التامة والمراسلات إلى الهند وبر فارس وغيرها، ولأهل الكويت وسواحل البحرين من مسقط والبحرين وغيرها المراجعة والتردد إليه، ذو نفس كريمة ومعاملة حسنة، لم يزل بيته مأوى لكل وارد من البحر وهو من أهل الكويت وله أخ صالح من التجار في الكويت يسمى سليمان البدر(١٢).

والمرحوم سالم البدر هو الذي أشارت إليه وثيقة إنجليزية بأنه ضمن المرحوم الشيخ عبدالله بن صباح (عبدالله الثاني) وأخرجه من الحجز في البصرة(١٣) وذلك قبل أن يتولى حكم الكويت.

ويقول المرحوم الشيخ يوسف إن من أهم أسباب هذه المكانة التي حظي بها أولئك الرجال من أسرة القناعات بالإضافة إلى مجاورة أسرة الصباح الإخلاص في النصح دون طلب الجزاء(١٤).

هوامش

(١) عبد الله النوري . قصة التعليم في الكويت في نصف قرن ١٣٠٠ ـــ ١٣٦٠ مطبعة الاستقامه ـــ مصر ص ١٩ ـــ ٢٠ .

(٢) وثيقة يعود تاريخها إلى ٢٣ ذي القعدة ١٣٢٣ (١٩٠٥)، وقد صادق عليها وثبتها قاضي شقر وبلاد الوشم الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى وشهد عليها الشيخ عبدالله بن زاحم قاضي المدينة المنورة، وقد نشرها المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى؛ وهي موجودة لدى مركز المخطوطات والتراث والوثائق، دولة الكويت. راجع كتاب القضاء والقاة في الكويت منذ النشأة حتى الدولة (١١١٧ - ١٣٩٢هـ - ١٧٠٥ - ١٩٧٢م) محمد بن إبراهيم الشيباني. براك بن شجاع المطيري -١٤٢ الكويت ١٩٩٩؛ ص ٦٩.

(٣) ديكسون، الكويت وجاراتها الجزء الأول صحاري للطباعة والنشر ١٤٢٠-١٩٩٩ ص ٦٩.

(٤) خالد أحمد السلمان، معجم مدينة الرياض- صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- دارة الملك عبدالعزيز ص ٦٩.

(٥) لقد كتب المرحوم الشيخ يوسف هذه الملاحظات بخط يده على الوثيقة المذكورة.

(٦) الشيخ يوسف بن عيسى القناعي - الوثيقة السابقة.

(٧) المرحوم ياسين هو ابن أخ المرحوم عثمان بن علي، أعداد مجلة الكويت مارس ١٩٢٨م إلى مارس ١٩٣٠م. أصدرها الشيخ عبدالعزيز رشيد - دار قرطاس الكويت للنشر ١٩٩٩م، ص ٦٥٠- الجزء الثالث شهر ربيع الأول ١٣٤٨- المجلد الثاني.

(٨) الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، صفحات من تاريخ الكويت، ذات السلاسل الكويت.

(٩) الشيخ عبدالعزيز رشيد- تاريخ الكويت، دار الحياة، لبنان ص ٦٥٠.

(١٠) الشيخ عبدالعزيز رشيد، المرجع السابق ص ٦٥٠.

(١١) الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، صفحات من تاريخ الكويت ص ٩٧.

(١٢) سليمان البدر الجد الثاني لوالدتي يرحمهما الله. العلامة إبراهيم فصيح بن السيد آية الله بن الحيدري البغدادي عنوان «المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد». دار البصرة ١٢٨٦هـ ص ١٦٩.

(١٣) كانت السلطات العثمانية قد حجزت الشيخ عبدالله أثناء إثارة قضية الصوفية لأهداف سياسية. راجع مؤلفنا قضايا التاريخ السياسي والاجتماعي لدولة الكويت، ٢٠٠٠ ص ٥ - ٢٦.

(١٤) الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، المرجع السابق ص ٩٦-٩٧.

الفصل الأول

المولد والنشأة

ولد الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في مدينة الكويت سنة ١٢٩٦هـ الموافق ١٨٧٦م ، في مجتمع كان يخيم عليه الجمود والجهل ، ويعاني أفراده من قلة موارد العيش ، ويقول الشيخ بهذا الصدد : « نشأت في الكويت كما نشأ غيري من أبنائها في محيط عمه الجمود واستحكمت فيه البدع والخرافات التي سترت الحق وقلبت الحقائق ..[١] »

كان والده يعمل في التجارة ويملك سفينة اسمها شط الفرات من السفن الكبيرة المعروفة في الكويت والتي كانت تستخدم حتى السنوات الأولى من القرن الحالي في الأسفار البعيدة لنقل السلع المختلفة بين الكويت والهند وشرق افريقيا[٢] ، ويعرف هذا النوع باسم « البغله » . وعندما بلغ الشيخ يوسف الحادية عشرة اصطحبه والده ـــ وكعادة الكويتين في تلك الفترة في بعض رحلاته التجارية الى اليمن والهند[٣] . فقد سافر معه في السنة الاولى الى اليمن ثم في السنة الثانية الى الهند ومليبار وكذلك في السنة الثالثة .

ولكن سرعان ما بدأ يتعرض للأزمات والظروف القاسية ، والتي كان لها انعكاساتها على شخصيته وأولها الأزمة التي واجهها والده في سنة ١٣٠٩هـ ١٨٨٩ عندما غرقت سفينته خلال ابحارها بين زنجبار ومسقط وكانت تحمل أربعة آلاف مَنْ من التمر ، وقد غرق في تلك الكارثة محمد أخو الشيخ . وبفقدان السفينة شط الفرات واجه والده أزمة مالية صعبة ولم يكن أمام الشيخ يوسف وسيلة لتحصيل لقمة العيش سوى العمل في نقل التجارة لحساب بعض التجار ، وقد تصادف خلال وجوده مع والده في البصره عام ١٨٩٢ أن شهد حفل زواج في بيت خاله سالم البدر وهناك أصيب برصاصة طائشة في رجله عانى من ألمها وأثرت في سلامة سيره ، فكان ذلك بمثابة كارثة أخرى من الكوارث التي أخذت تلاحقه ، ففي عام ١٨٩٣ توفى والده وبذلك أصبح على الصبي الصغير أن يواجه الحياة بمفرده .

طلبه للعلم في الكويت :

بدأ في سن السابعة حفظ القرآن الكريم شأنه شأن كل الكويتيين في طفولتهم ، فدرس عند الملا دخيل الجسار .

وكان المجتمع الكويتي في تلك الفترة ــ أواخر القرن التاسع عشر يعيش في جمود فكري ولم تكن هناك مدارس نظامية وقد اقتصر التعليم على الكتاتيب حيث يتعلم الأولاد قراءة وحفظ القرآن الكريم ، وبعض مبادىء الحساب والقراءة ، وكان اسم الكتاتيب يطلق على الأماكن التي يخصصها أهل العلم من رجال الدين والوعظ في منازلهم للتدريس ، ويطلق على الكتاب (المطوع) أما اذا كان « المطوع » في رأي الناس عالما جليلا فانهم يطلقون عليه لقب الشيخ[٤] ، وهناك مطاوعه لتعليم قراءة القرآن الكريم ، ومطاوعة لتعليم الكتابة .[٥]

وكان هذا النوع من التعليم بمستواه آنذاك يلاقي القبول والاستحسان من أفراد المجتمع الكويتي[٦] ، ولم يكونوا يتطلعون الى أكثر منه فهو يخدم احتياجاتهم المتواضعة في تلك الفترة .

اذن فقد تلقى الشيخ يوسف من التعليم ما كان يتلقاه أقرانه من الكويتين وبعد أن تعلم قراءة القرآن الكريم وختمه بدأ يتعلم الخط والحساب عند السيد عبد الوهاب بن السيد يوسف الرفاعي[٧] وعند الشيخ عبد الوهاب الحنيان في سنة ١٨٩٣ وكان الشيخ يوسف بن عيسى في بعض الأحيان ينوب عنه في اعطاء الدروس ولم يكن الشيخ عبد الوهاب يأخذ منه شيئا مقابل الدروس التي كان يتلقاها[٨] .

وبدأ بعد ذلك بدراسة الفقه والنحو ومطالعة كتب الآدب ، فقرأ متن الاجرومية وأبا شجاع عند الشيخ الشافعي عبد الله بن خالد العدساني [٩] كما درس مبادىء الفقه ومتن الأجرومية أيضا عند الشيخ الحنبلي عبد الله بن خلف الدحيان[١٠] ، وكان الشيخ يوسف من الذين لا يقبلون ما يطرح عليهم دون

تمحيص وتدقيق ، ولذلك كثرت أسئلته واستفساراته ، وعندما أحس أنه أثقل على معلمه الشيخ عبد الله بكثرة الأسئلة ، انقطع عن حضور الدروس فأرسل اليه الشيخ عبد الله قصيدة يظهر فيها فضل الشيخ يوسف عليه ، فرد عليه بقصيدة جاء في مطلعها :

تقول بدرسي أنني لك محسن فماذا القول الله أكبر .[١٠]

لا شك في أن هذه التجربة التى مر بها الشيخ يوسف في أن يقوم مقام معلمه في اعطاء الدروس وهو في هذه السن الصغيرة كذلك رأي معلمه الآخر به قد أثرت فيه وزادت من ثقته بنفسه كما أن مناقشاته واستفساراته في المسائل الدينية قد جعلت الدين يقوم عنده على أساس من البحث والمنطق والاقتناع .

وكان لهذه الدروس والمطالعات أثرها عليه كما أنه أصبح شغوفا بالأدب منذ أن أطلع في بومبي على كتاب عنوانه « المستطرف في كل فن مستظرف . »[١١]

لقد نقلته تلك القراءات الى محيط وعالم لم يعاصره ولكنه تعرف عليه من خلال هذه المطالعات التي أعدته وهيأته لتلقى المزيد من العلم[١٢] ، ولكن لم يكن بالامكان أن ينقطع الى العلم وكان لزاما عليه أن يعمل لكسب رزقه فزاول التجارة حتى عام ١٨٩٨ حين عمل كاتبا عند أحد التجار المعروفين وهو السيد خلف باشا النقيب(١٣) مدة أربع سنوات . الا أن الوظيفة لم تشغله عن العلم والدراسة والمطالعة .

رحلته لطلب العلم :

لم يستمر الشيخ يوسف في عمله لأنه أراد الاستزادة من العلوم الدينية والنحوية ولم يكتف بما تلقاه من دروس على يد علماء الكويت الذين كان يختلف الى دروسهم بل تاقت نفسه الى طلب العلم في الخارج ، فترك العمل في سنة ١٩٠٢ وشد الرحال في نفس العام الى الاحساء التى كانت تزخر بعلماء الدين

واللغة المعروفين ، وننقل هنا ما قاله الشيخ يوسف عن رحلته تلك : « في سنة ١٣٢١هـ ـــ سافرت الى الاحساء(١٤) لطلب العلم ومعي المرحوم أحمد بن الشيخ خالد العدساني ، وداود بن صالح المطوع وبصحبتنا كتاب من الشيخ عبد الله العدساني الى شيخنا المرحوم عبد الله بن عبد القادر مضمونه التوجيه لنا ، ولما وصلنا المبرز أنزلنا الشيخ في المدرسة ومنعنا من تكاليف المعيشة وصرنا في ضيافته مدة اقامتنا ، وكان من مكارم أخلاقه أن يرى لنا الفضل عليه في الممالحة بسبب أنسه بنا وانشراح صدره واستمررنا بالدرس ولم يجب الشيخ عبد الله على كتابه (الشيخ العدساني) حتى مضى شهران وأجاب بعدهما على الكتاب وأدرج فيه هذين البيتين قالهما ارتجالا أثناء الكتابة :

وأن سألت عن الاخوان مافعلوا   فهم على حاله بالجد متصفه
لهم قلوب على التحصيل عاكفة   كمثل اسمائهم ليست بمنصرفه

ويضيف الشيخ يوسف بن عيسى « ثم قال لنا أخرت الجواب عمداً لأخبره بحقيقة اجتهادكم ، أما معنى قوله ليست منصرفة فهي أن يوسف وأحمد وداود اسماء لا يدخلها الصرف النحوى وهو التنوين .(١٥)

وكان الشيخ عبد الله بن عبد القادر من أشهر علماء الاحساء وعرف بأدبه الجم وعلمه الغزير ودماثة أخلاقه وورعه(١٦) ، ونورد هنا حادثة تدل على شخصية هذا العالم ، فقد كان لا يلبس العمامة التي اعتاد عليها العلماء الكبار والصغار في الهفوف ، أما علماء المبرز فكانوا يلبسون « المعصب » ولم يكن الشيخ عبد الله بن عبد القادر يهتم بهذه المظاهر ، فنظم قصيدة جاء بها :

أمن نسك الفتى أن ليس يهوى   مليحا أو يبث به غرامه
تركت ملابسي التلبيس عني   ولم أجعل على جهلي علامه
متى يروا العمامة يسألوني   وليس العلم في طي العمامة
اذا لبس العمامة غير أهل   يريد جمالها كانت ذمامه
دعوها للذي إن شاء أجري   ينابيع العلوم بلا سآمه

وراح الــواردون وهــم رواء وقد ظنوا عمامته غمامه(١٧)

هكذا كان أستاذ الشيخ يوسف بن عيسى ، الذي قرأ عليه ألفية بن مالك وشرح التيسير في الفقه ، فحفظ هو ومن معه في تسعة شهور ما كان يحفظ في عامين (١٨) ، كما درس متن المنهاج(١٩) في الاحساء على يد الشيخ عبد الرحمن بن صالح آل عبد القادر .

ولحسن حظ الشيخ يوسف أن أستاذه في المبرز لم يكن من الشيوخ الذين يرفضون المناقشة وكذلك الحال مع غيره من العلماء فيما بعد ، وهكذا أصاب الشيخ يوسف قدرا من الدراسة المتقدمة في ميدان الفقه والعلوم الدينية والنحو ، فقد حفظ المنتهى والبشير في الفقه الشافعي ، واستفاد فائدة كبيرة من مصاحبته لهؤلاء العلماء في حياته العلمية والعملية .

عودته الى الكويت :

عاد الشيخ يوسف من الاحساء بعد ان امضى اقل من عام هناك وأقام في الكويت سنة كان ينهل خلالها من مناهل العلماء أمثال أحمد نور الفارسي ، ولكنه لم يكتف بما تعلمه من العلوم الشرعية واللغوية في الكويت فعقد العزم على السفر الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج والدراسة فيها على نفقته الخاصة حيث كان يملك المال الكافي لتحقيق طموحه ، وكانت مكة المكرمة تزخر بعلماء الدين واللغة والتوحيد والتاريخ وغيرها من العلوم ، فتوجه أولا الى البصرة قبل موسم الحج بأشهر وأقام فيها وتلقى بعض الدروس على يد الشيخ علي الحمداني والسيد عبد العزيز الناصري وقرأ الشافيه عند الشيخ عبد العزيز التكريتي وشرح السيوطي على يد الشيخ مصطفى الحافظ ، وبعد ذلك غادرها الى مكة المكرمة عند حلول موسم الحج ووصلها في ٢٢ سبتمبر ١٩٠٥ (٢٠) وهناك بدأ يتردد على الحرم المكي وعكف على تلقي الدروس على يد عدد من العلماء فبدأ يدرس عند الشيخ يوسف الأفغاني الجوهر المكنون وشرح السيوطي لألفيه محمد بن مالك الاندلسي المخصصة لقواعد النحو وفقه اللغة(٢١) ، كما درس عند شعيب المغربي صحيح

البخاري ومتن الفية بن مالك وكان ذلك في الحرم المكي ، ولم يكتف الشيخ يوسف بهذه الدروس فطلب من الشيخ المغربي أن يعطيه دروسا في المنطق ، فوافق على طلبه وبدأ الدروس في بيت الشيخ المغربي ، لان الاقبال الشديد على دروس الشيخ المغربي في الحرم المكي لم تكن تفسح المجال لاعطاء الشيخ يوسف ما طلبه من الدروس في الحرم . فقرأ عنده شرح السلم الى أن أكمله(٢٢) ، وكما يقول الشيخ يوسف بأن أفضل الدروس تلك التى تلقاها على يد الشيخ المغربي أما باقي دروس غيره من العلماء فهى تطويل بلا ثمره (٢٣) .

درس أيضا عند الشيخ عمر باجنيد الذي قرأ عليه شرح المنهاج وعند الشيخ عبد الله الداغستاني وقرأ عنده جمع الجوامع وتفسير البيضاوي ، كما حضر عند الشيخ عبد الله الفادي تجويد القرآن الكريم وقرأ عند الشيخ سعيد اليماني شرح الروض وشرح جمع الجوامع(٢٤) .

وهكذا فقد تعدد العلماء الذين اختار الشيخ يوسف لنفسه أن يتلقى الدروس على أيديهم ، فكانت مفاضلاته بين هذا الشيخ وذاك ، وقد أخذ من علوم القرآن الكريم والأدب والفقه بما ارتضاه واستطاعه ثم عاد الى الكويت في سنة ١٩٠٧

عاد بعد أن نال من علوم زمانه ما يسر له التفوق في بعضها ، وأصبح ينتمى الى الفئة العلمية التي تمثل مكانة رفيعة في المجتمع .

عاد الى الكويت بعد أن درس أمهات الكتب الفقهية خصوصا كتب الفقه الشافعي وألفيه بن مالك الاندلسي في النحو والصرف كما درس علوم البلاغة وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري .(٢٥) كما أشرنا من قبل .

ومن المعروف أنه لا يمكن لدارس الفقه اجادته دون إجادة القرآن الكريم قراءة وحفظا الى جانب اجادة الحديث النبوي الشريف حفظا وفهما ، واتقان اللغة العربية والنحو والآدب ، ولذلك فقد تنوعت قراءات الشيخ يوسف والدروس التي

تلقاها ، وعندما عاد الى الكويت بعد رحلته العلمية التي روى فيها ظمأه من مناهل العلوم الدينية واللغوية وجد أن بلده لم يشهد أي تطور أو تغير في التعليم بما يتفق وما وصل اليه من سعة الأفق وفهم صحيح للدين ، بل ظل هذا المجتمع يعاني من الجمود ، أما من الناحية السياسية فقد دخلت الكويت مرحلة جديدة من تاريخها تميزت بالاهتمام الدولي بها ، وارتباط حاكمها الشيخ مبارك الصباح الذي حكم خلال المدة (١٨٩٦ ــ ١٩١٥) باتفاقية حماية مع الحكومة البريطانية في ٢٣ يناير ١٨٩٩ ، وذلك في محاولة منه لمواجهة المشاكل والمخاطر التي كان يتعرض لها حكمه خصوصا فيما يتعلق بعلاقته المضطربه بالدولة العثمانية ، التي كان نفوذها يتراجع أمام النفوذ البريطاني في الخليج العربي .

ولكن هذه الظروف والتطورات لم تكن لها صلة أو تأثير على الاحوال الاجتماعية والتعليم في الكويت الذي ظل على حاله أسير الجمود ، واستمر المطوع في عمله والكتاب في أداء مهمته . ولكن كان المجتمع الكويتي يتميز في تلك الفترة بالتآلف والتعاون بين افراده .

بدء نشاطاته العلمية :

لقد آمن الشيخ يوسف أن مهنة التدريس أفضل المهن فالاشتغال بالعلم أفضل من نفل الصلاة والصيام وغيرهما من أعمال النفل القاصره على الفاعل والتى لاتتعدي غيره(٢٦) وكما جاء في القرآن الكريم « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » والحديث النبوي الشريف فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقوله صلى الله عليه وسلم مجلس في العلم خير من عباده ستين سنة .

وعندما عاد الى الوطن افتتح مدرسة في دكانه لتدريس القراءة والكتابة والحساب والتجويد والفقه وهي أول مدرسة في الكويت من هذا النوع ، وكان التلميذ يدفع روبيتين شهريا (٢٧) وقد وصل عدد التلاميذ الى الستين .

ويقول الشيخ عبد العزيز الرشيد مؤلف كتاب تاريخ الكويت والذي عاصر نشأة هذه المدرسة: «أن الشيخ يوسف في عمله هذا يعتبر أول من أسس مدرسة على هذا النمط الذي جمع بين العلم الديني والعلم الدنيوي معا في الكويت ولم يزل هذا عمله الى أن انتشرت بين الناس المعارف والعلوم وتأسست مدرسة المباركية »(٢٨) ، وكان الشيخ يوسف يعطي الدروس في ديوانه أيضا وتدور هناك المناقشات والأحاديث المتنوعة (٢٩) حيث كان يتردد عليه الكثير من الكويتين ومن بينهم الشيخ سالم مبارك الصباح الذي حكم الكويت خلال الفترة (١٩١٧ — ١٩٢١) ، فقد قرأ النحو عند الشيخ يوسف وكذلك ابنه الشيخ عبد الله السالم حاكم الكويت خلال الفترة ١٩٥٠ — ١٩٦٤ الذي كان شغوفا بمطالعة الكتب القديمة والحديثة . فقد قرأ النحو عنده(٣٠) وكان ديوان الشيخ يوسف بن عيسى أهم مكان تتاح فيه فرصة الاطلاع والقراءة لكل من يريد ذلك ، فقد كان يضم مكتبه تحتوي على مختلف الكتب والمراجع والمجلات والجرائد المعاصرة ، كما كان يتم في هذه الجلسات التي كانت تعد منتدى وملتقى فكريا الدعوة الى التجديد والتطوير الذي آمن به الشيخ يوسف ودعا اليه ، كما كان يدعو الى ترك البدع والخرافات ، ولقد ساعدته الكتب التي كان يقرأها على انارة الطريق له ، ويقول بهذا الصدد « وكان لمؤلفات ابن تيمية وابن القيم ومجلة المنار(٣١) الغراء أكبر أثر في انارة السبيل أمامي وإماطة الستار الذي أبصرت من خلفه الحق واضحا فنفرت بعده عن كل ما ألفته مما لا يتفق والدين في شيء ، أما اعتد الى في الآراء العصرية فيرجع سببه الى مجلة الهلال والمقتطف والمؤلفات المتنوعة »(٣٢) ، وبالاضافة الى هذه العوامل ، فان الشيخ يوسف كان متأثرا بأفكار جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وبدعوتهما الى الشورى والاصلاح الديني والسياسي ومحاربة التقليد والجمود والحكم المستبد ، ومن هذا المنطلق بدأ الشيخ يوسف نشاطاته الاصلاحية وسعيه لنشر التعليم ونبذ الجمود وترك التقليد الأعمى والدعوة الى الفهم الصحيح للدين ، ولم يكتف الشيخ يوسف بالدعوة النظرية بل سعى الى تحقيقها من خلال نشر التعليم .

هوامش

(١) سيف الشملان ـــ مجلة مرآة الأمة/١٢/٧/١٩٧٣ .

(٢) أنظر صناعة السفن في الكويت وأنشطتها المختلفة .

د. نجاة عبد القادر ـــ د. بدر الدين الخصوصي ـــ اصدار مؤسسة الكويت للتقدم العلمي سنة ١٩٨٢ .

(٣) مقابلة تلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى اجراها الأستاذ سيف الشملان ٢ يونيو ١٩٦٦ .

(*) يروى الشيخ يوسف أن ابن خاله كانت بيده بندقية طلب من أحد الحراس تنظيفها وعندما انتهى من ذلك سلمها اليه بعد أن جهزها « كيلها » دون علم ابن خاله فأخذ يداعب الشيخ يوسف قائلا هل اصوبها نحوك وأثناء هذه المداعبة انطلقت الرصاصة .

المقابلة التلفزيونية ـــ سبق ذكرها .

(٤) عبد العزيز حسين ـــ محاضرات عن المجتمع العربي في الكويت ـــ معهد الدراسات العربية العالية ـــ ١٩٦٠ .

حول التعليم في الكويت انظر ـــ تطور التعليم في الكويت ١٩١٢ ـــ ١٩٧٢ . فوزية العبد الغفور ـــ مكتبة الفلاح الكويت ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣ .

(٥) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى ـــ أجراها الاستاذ سيف الشملان ٢ يونيه ١٩٦٦ .

(٦) لقد كان التعليم في الوطن العربي حتى القرن الثامن عشر يقتصر على العلوم الدينية واللغوية وما يسمى بالكتاتيب سواء تلك التي يقوم عليها المشايخ المسلمون أو الرهبان حيث يدرس فيها القراءة والكتابة والقرآن الكريم والانجيل وقليل من الحساب . محمد عزه دروزه ـــ نشأة الحركة العربية الحديثة ربيع الاخر ١٣٩١هـ حزيران ١٩٧١م دمشق ـــ المكتبة العصرية صيدا ـــ بيروت ـــ الطبعة الثانية ص ١٢٣ .

(٧) عبد الله بن خالد الحاتم ـــ من هنا بدأت الكويت ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م مطابع دار القبس ـــ الكويت ص ٣٦٠ ـــ ٣٦١ .

(٨) كان الشيخ عبد الوهاب يعمل في بومبى عند آل الابراهيم وهم من الاثرياء وتمكنوا من اقناعه بالمجىء الى الكويت وتعليم ابنائها القرآن الكريم والخط وافتتح له مكتبه في القيصرية ثم في محلة العداسنه وكلها مواقع داخل المدينة ، وكان يساعده ابنه السيد هاشم وذلك في سنة ١٨٧٠ أنظر عبد الله النوري ـــ المرجع السابق ص ٢٢ .

(٩) قاضى الكويت ١٣٣٩ ـــ ١٣٤٨هـ

عبد الله الحاتم . المرجع السابق ص ٢٠٦ .

(١٠) Dr. Ali -Abdel Moneim Abdel-Hamid. Histoire social Du Kuwait 1718. 1971. Dactulo. Sorbonne-Paris 1972. P. 146

(١١) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف .

(١٢) Dr. Ali-Abdel Moneim. op. cit. cit. p146.

(١٣) الحاتم . المرجع السابق ص ٣٦١ .

كان مجلس السيد خلف من المجالس المعروفة في الكويت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالي .

المرجع السابق ص ٢٢٤ ـــ ٢٢٥ .

(١٤) كانت الاحساء في تلك الفترة تحت السيطرة العثمانية وقد استطاع ابن سعود (عبد العزيز بن عبد الرحمن) اعادة سيطرة آل سعود عليها سنة ١٩١٣ .

(١٥) الملتقطات ، حكم وفقه وأدب وطرائف ـــ جمعها وعلق عليها الشيخ يوسف بن عيسى القناعي . ستة أجزاء وزارة الارشاد والأنباء سابقا (الاعلام) ـــ الجزء الأول ١٣٦٧هـ ص ١٠٣ .

(١٦) مجلة الكويت ـــ الجزء ٦ شهر صفر ١٣٤٦هـ المجلد الأول ص ٢٠٧ .

(١٧) الملتقطات : الجزء الأول ص ٩٦ .

(١٨) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .

(١٩) عبد الله الحاتم . المرجع السابق ص ٣٦١ .

(٢٠) عبد الله الحاتم ـــ المرجع السابق .

(٢١) Dr. Ali-Abdel-Moneim .p.174-148.

(٢٢) عبد الله الحاتم المرجع السابق ص ٣٦٢ .

(٢٣) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .

(٢٤) مجلة مرآة الأمة ـــ مقال الأستاذ سيف الشملان عن الشيخ يوسف ١٩٧٣/٨/١ .

(٢٥) كلمة كتبها المرحوم الدكتور الشيخ على عبد المنعم عن الشيخ يوسف خاصة بهذه الدراسة ١٤٠٥/٩/٢٦هـ ، ١٩٨٥/٦/١٤م .

(٢٦) الملتقطات الجزء الأول ص ٦٢ .

(٢٧) Dr. Ali Abdel-Moneim.p. 148.

(٢٨) عبد العزيز الرشيد ـــ تاريخ الكويت . منشورات دار مكتبة الحياة ـــ لبنان بيروت تاريخ النشر غير مذكور

ولد سنة ١٣٠١هـ وتعلم في الزبير وبغداد والاحساء والحجاز وقد ألف كتاب تاريخ الكويت سنة ١٣٤٤هـ وأصدر أول مجلة باسم « الكويت » ١٣٤٥هـ وتوفى سنة ١٣٥٦هـ .

عبد الله النوري . المرجع السابق ص ٨٤ .

(٢٩) المرجع السابق ص ٣٩ .

(٣٠) مجلة الكويت الجزء ٦ ـــ المجلد الأول شهر صفر ١٣٤٦هـ .

(٣١) صاحبها رشيد رضا وقد صدرت عام ١٣١٥هـ وكانت تدعو الى الاصلاح والتجديد بما لا يخالف الشريعة الاسلامية ـــ انظر مجلة تاريخ العرب والعالم العددان ٩٠/٨٩ آذار نيسان ١٩٨٦ ص ٦٣ .

(٣٢) مجلة مرآة الأمة ـــ مقال الأستاذ سيف الشملان . ١٩٧٣/٧/١٢ .

الفصل الثاني

دور الشيخ يوسف بن عيسى في نشر العلم بالكويت

أولا : دوره في تأسيس المدرسة المباركية :

كان الشيخ يوسف يتخلق بأخلاق العلماء في الدعوة الى العلم والتمسك بالحق ، وكان لبيانه وفصاحته وقوة حجته أثر في نجاح المشاريع التي دعا إليها ، والتي كانت تهدف في مجملها الى تطوير المجتمع الكويتي ، ومما لا شك فيه أن تعدد العلماء الذين تلقى الشيخ يوسف دروسه على أيديهم وهم من مشارب متعددة كان له أثره على توجهه بالاضافة الى العوامل الأخرى التي سبق ذكرها ، فلم يكن مترمتا بل متنورا معتدلا ولذلك راح يسعى في السنوات الأولى من القرن الحالي الى ادخال التعليم النظامي العصري الى الكويت وعدم الاقتصار على الكتاتيب والتي لم تحدث التغير المطلوب في المجتمع الكويتي ، سيما وأن الظروف أصبحت مهيأة لذلك فهناك العلماء الأفاضل الذين كانوا يتطلعون الى تحقيق الاصلاح الذي لا يتم الا بنشر التعليم أولا ، ثم هناك عدد من التجار الذين كانوا يقدرون أهمية العلم ولذلك فانهم لم يبخلوا كما سنرى في تقديم المساعدات لنشره ، فهؤلاء كانت لهم اتصالات بعدد من العلماء والمفكرين الاسلاميين المعروفين الذين تبنوا دعوة الاصلاح في الشرق وزاروا الكويت أمثال الشيخ محمد أمين الشنقيطي مؤسس مدرسة النجاة في الزبير ورشيد رضا الذي دعاه الشيخ مبارك الصباح لزيارة الكويت وأقام في قصره[١] وعبد العزيز الثعالبي الذي كان من المتحمسين لنشر أفكار ومبادىء جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وكان يدعو الى تجديد الفكر الديني والاقتباس من الغرب ونبذ الأوهام والخرافات التي علقت بالدين

الاسلامي ، فتعرض بسبب دعوته تلك الى الكثير من اتهامات أنصار الجمود .))(٢)

لقد ساهم هؤلاء العلماء بشكل فعال في تثقيف أهل الكويت بالمحاضرات والدروس ، إذ كانوا يستمعون الى أحاديثهم ويتجاوبون معها ويتأثرون بها تلك الأحاديث التي كانت تحث على العلم والتجديد مما أثر على الحياة الاجتماعية في الكويت وشحذ الهمم من أجل نهضة ثقافية . يضاف الى ذلك نمو التجارة وازدياد الحاجة الى مزيد من المتعلمين من الذين يتقنون الكتابة والحساب(٣) ، ومجمل القول أن هناك عدة عوامل وظروف تجمعت وهيأت الفرصة لانشاء أول مدرسة نظامية في الكويت .فقد فرض منطق الاصلاح والتجديد نفسه على الواقع ، ففي ليلة ١٢ ربيع الأول ١٣٢٨هـ الموافق ابريل ١٩١٠ وأثناء احتفال اقيم في ديوان الشيخ يوسف بن عيسى بمناسبة المولد النبوي الشريف حضره عدد من رجالات الكويت ، وبعد أن انتهى أحد علماء الدين وهو الشيخ محمد بن جنيدل من قراءة كتاب البرزنجي عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ألقى المرحوم ياسين الطبطبائي كلمة في الحاضرين ركز فيها على أهمية الاقتداء بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مشيرا الى أن ذلك لا يتحقق الا بواسطة التعليم وفتح المدارس لانقاذ الامة من الجهل .

فكان لهذه الكلمات والدعوة الصادقة أثرهما في الحضور ولكن بدا أن تأثيرها عند الشيخ يوسف كان قويا ، ولذلك فقد أخذ يفكر في طريقة ووسيلة تؤدي الى تأسيس مدرسة ، فاستقر رأيه على كتابة مقال يبين فيه فوائد العلم وفضل التعليم وضرر الجهل وتشجيع الاهالي على طلب العلم وأهمية التعاون من أجل تنفيذ هذا المشروع ، وبالفعل أعد المقال وتبرع بخمسين روبية ، ويقول الشيخ يوسف عنها » « ليست في ملكي حينئذ وانما دفعتها بعد أن يسرها الله لي » .(٤)

ومنذ تلك اللحظة بدأت أولى خطوات تأسيس التعليم النظامي الاهلي في الكويت بفكرة طرحها ياسين الطبطبائي وسعى لتحقيقها الشيخ يوسف بن

عيسى الذي توجه بالمقال الى الشيخ سالم بن مبارك ابن الحاكم آنذاك ، فكان رأيه أن هذه المشاريع لا يقوم بها إلا الحاكم الذي كان خارج المدينة ، ولكن الشيخ يوسف أراد كسب الوقت فاستمر في تحركه وعرض الاقتراح على التجار وفي مقدمتهم صديقة شملان بن على بن سيف الذي راح بدوره يحث التجار على التبرع لانشاء المدرسة المقترحة فرحب هؤلاء بالفكرة وانهالت التبرعات ، كما وصل مبلغ من تاجرين كويتيين في بومباي هما قاسم وعبد الرحمن آل ابراهيم قدره خمسون ألف روبية ، وأجرى اكتتابا بين الأهالي كانت حصيلته ١٢٫٥٠٠ روبية ، وهكذا الى أن وصل المبلغ الاجمالي سبعة وسبعين ألف وخمسمائة روبية .

وقد تبرعت عائلة الخالد بالمقر حيث خصصت للمشروع بيتا كبيرا ، كما تم شراء منزلين بالقرب من هذا الموقع وأضيف اليهما بيت وقف كان تحت اشراف أسرة الخالد ثم بدأ تنفيذ المشروع الذي أشرف عليه وعلى بناء المدرسة الشيخ يوسف ويذكر عبد العزيز الرشيد بهذا الصدد « يرجع الفضل في انشاء هذه المدرسة الى ثلاثة من الفضلاء في الكويت الشيخ يوسف بن عيسى القناعي والمرحومان الشيخ ناصر المبارك الصباح والسيد ياسين الطبطبائي ، فهم أول من حث على تأسيسها وأول من حث الجمهور في الانفاق في سبيلها ، وقد كان لآل خالد الكرام أيضا أيادي بيضاء عليها لا تقل عن أيادي من سواهم » .

وبعد أن يتحدث عن دور آل الابراهيم أيضا يقول « بدىء في بنائها سنة ١٣٢٩هـ وكان المباشر لها الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الذي تولى ادارتها والتعليم فيها فيما بعد وكان له أثر عظيم في انبثاق الافكار الحرة والعلوم النافعة في سمائها » ، أما افتتاحها فكان سنة ١٣٣٠ه (٥) (١٩١١) وقد أطلق عليها اسم المدرسة المباركية نسبة الى حاكم الكويت آنذاك الشيخ مبارك الصباح .

وهكذا فقد وجد المشروع استجابة طيبة من أصحاب العقول الراجحة المخلصة وبناء عليه فقد تم تشكيل لجنة مالية تشرف على ميزانية المدرسة وتعمل على تنمية أموالها مؤلفة من حمد الخالد الخضير ـــ شملان بن على بن سيف وأحمد محمد صالح الحميضي .(٦)

نظام التعليم والمنهج :

اختلف المنهج الدراسي في المدرسة المباركية عما كان يعطي في الكتاتيب ، الا أنه لم يصل الى ما كان يتطلع اليه الشيخ يوسف الذي لم يكن راضيا عن نظام التدريس وطريقته والمنهج أيضا لانه يفتقر الى العلوم العصرية واللغة الانجليزية(٧) .

وكان المنهج يحتوي على العلوم الدينية حيث يدرس القرآن الكريم والتفسير والفقه والفرائض ، واللغة العربية التي تشمل الانشاء والمحفوظات والقواعد والاملاء والرسوم والخط والعروض أحيانا ، كما كان يدرس التاريخ الاسلامي وبالتحديد السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين . ويدرس مبادىء الجغرافيا ومبادىء الهندسة ، وكذلك الحساب .

أما أقسام المدرسة فقد اشتملت على خمسة ، يتألف القسم الأول من أربع شعب يتعلم الطالب في الشعبة الأولى بعض الدروس ثم ينتقل الى الشعبة الثانية ، فعلى سبيل المثال يدرس في الشعبة الاولى الحروف الهجائية وفي الشعبة الثانية يتعلم كتابة الكلمات والجمل ومبادىء الحساب ، وفي الشعبة الثالثة يتم تصحيح املائه ويقرأ ما يكتب ، ثم ينقل الى الشعبة الرابعة فيحفظ جدول الضرب ويقرأ بعض قواعد التجويد ، وهكذا الى أن يصل القسم الخامس(٨) .

وفي كل قسم كان الطالب يتدرج في مستوى العلوم التى يتلقاها ففى القسم الخامس يكمل كتاب العبادات في الفقه بالتفصيل وقواعد اللغة العربية ، وشيئا من التوحيد والفرائض ، أما الانتقال بين الشعب والأقسام فيعتمد على قناعة المدرس بمستوى التلميذ ومن ثم يبلغ المدير ثم يمتحنه مع مدرس الفصل الذي سينقل اليه وبعد ذلك يتم النقل(٩)

لقد كان لهذه المدرسة بلا شك أثرها الايجابي على المجتمع الكويتي لانها كانت مركز التعليم والثقافة والتوعية .

عين الشيخ يوسف مديرا لها ومعلما فيها ، وكان يصرف له راتب (٦٠

روبية) لقاء قيامه بالتدريس فقط ، وكان يتولى تدريس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والنحو والصرف ، واستمر مديرا للمدرسة لمدة ثلاث سنوات سعى خلالها الى تطوير التعليم فيها وطالب بادخال العلوم العصرية واللغة الانجليزية الا أن بعض العقبات كانت تحول دون تحقيق هذا التطوير فقد كان أعضاء لجنة المدرسة من التجار الذين يمدونها بالمعونة المالية يرون في محاولة التطوير تلك خروجا عن العادات والتقاليد ، بل كان هناك من يعتبر دعوة الشيخ يوسف الى تطوير التعليم من المنكرات ، كما كان هناك من يعتبر أن قراءة المجلات والكتب بدعة ، فمثلا اعترض بعض المتزمتين لدى الشيخ يوسف بسبب قيام تلاميذ المدرسة المباركية بحفظ نهج البردى قائلين لا ينبغي أن يتعلمها الأولاد(١٠) ، ولكن الى جانب هذه الجماعة هناك فئة ترى عكس ذلك وهم ممن تأثروا بدعوة المفكرين الاسلاميين الذين كانوا يدعون الى التجديد والاصلاح ، فمثلا كان عبد العزيز الرشيد يدعو الناس إلى الاشتراك في المجلات الأدبية والجرائد وقد تأثر بدعوته عدد من الكويتيين(١١) .

عزل الشيخ يوسف عن ادارة المدرسة :

لم يكن الشيخ يوسف وحده الذي يدعو الى التجديد والتطوير ، فقد كان هناك من يرى رأيه ويسعي لمساندته ، ولكن ظل الخلاف قائما بين الجماعة التي تنادي بالتطوير وبين تلك التي تتمسك بالواقع التقليدي وترفض التغيير لاعتقادها أن ذلك مخالف للدين والعادات والتقاليد . واستمر الشيخ يوسف في ادارة المدرسة ولقد درس فيها لمدة ثلاث سنوات ولكن سرعان ما بدأت المصاعب تحيط بادارته وأدت في النهاية الى صدور أمر حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح بعزله عن ادارتها .

ولكي نتعرف على الأسباب التي أدت الى عزله سنستعرض بعض الوقائع التي بدأت في عام ١٩١١ ، حين قام صاحب مجلة العمران « عبد المسيح الانطاكي » ، باعداد كتاب يحمل عنوان « الآيات الصباح في مدائح مبارك

الصباح » وكان عبد المسيح يعتمد على العطايا التي تصل اليه من الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل حاكم المحمرة »[١٢] وبعد ان وصل الكتاب المذكور الي جمرك الكويت قام الشيخ ناصر بن مبارك الصباح بإطلاع الشيخ يوسف على نسخة منه وعندما قرأه الشيخ يوسف قال له » انصح والدك أن يخفي هذا الكتاب لانه مجموعة مهازل واكاذيب افتراها الانطاكي لا صحة لها بتاتا وإن انتشر هذا الكتاب فسيكون اضحوكه الزمان عليكم بين أهل الكويت وغيرهم ، » وعندئذ أبلغ الشيخ ناصر هذا الرأي الى والده الشيخ مبارك الذي أمر بحجز الكتاب في دائرة الجمرك[١٣] .

لقد كان موقف الشيخ يوسف الصريح في مواجهة الحقيقة والبعد عن النفاق. نتيجة لادراكه خطورة الصلة بين رجل الدين والحاكم ، ولقد اردنا من طرح هذا المثل الاشاره الى أحد مواقف الشيخ يوسف الشجاعة ولكننا لا نستطيع أن نجزم أنها السبب في عزله عن المدرسة المباركية .

أما الحادثة الثانية التي ظهر فيها الخلاف بين الشيخ مبارك الصباح والشيخ يوسف فانها تعود الى عام ١٩١٤ حين طلب الشيخ مبارك الصباح من الشيخ يوسف أن يوافق على تعيين شقيقة « حسين » بن عيسى كاتبا عنده ، ولكن الشيخ يوسف رفض هذا الطلب لأنه لم يكن يرغب في أن يعمل شقيقة عند الحاكم لأسباب كان يراها الشيخ يوسف مقنعة وموضوعية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان شقيقة حسين يعمل في تصليح الساعات ويساعد اخوته في كسب الرزق لأجل كل هذا رفض الشيخ يوسف هذا الطلب وأوضح للشيخ مبارك أثناء زيارته للمدرسة المباركية أن سبب الرفض هو حاجته الى أخيه للعمل مع اخوته[١٤] .

أثار هذا الرفض غضب الشيخ مبارك الصباح ولذلك طلب من ابنه الشيخ سالم اصطحاب حسين بن عيسى معه ضمن القوة المزمع إرسالها الى ابن سعود بناء على طلب الأخير لمساعدته في الهجوم على العجمان سنة ١٩١٥ ولكن الشيخ يوسف تدخل طالبا من الشيخ سالم الذي عرف بتدينه وبعلاقته الودية به عدم

اصطحاب حسين معه ، وبالفعل أقنع والده بعدم حاجته الى حسين بن عيسى .

ومع كل هذه الملابسات لا يمكن اغفال السبب المباشر الذي باعد بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف والذي أدى الى عزل الاخير عن ادارة المدرسة المباركية ، فلقد كان للشيخ يوسف مجلسه الديني والفكري الذي كان يتردد عليه الكثيرون من الكويتيين وغيرهم من زوار الكويت من العلماء وطلاب العلم حيث تتم في مجلسه مناقشه مختلف الموضوعات الدينية والسياسية والاجتماعية والادبية والدعوة الى الاصلاح . وكان مجلسه من أشهر المجالس في الكويت حيث كان يحوى العديد من المؤلفات المعاصرة والمجلات والجرائد مثل الهلال والمقطم التي يقبل على قراءتها من يتردد على مجلسه كما اسلفنا الاشارة ، ومن هنا فان مثل هذا المجلس الذي تناقش فيه قضية الاصلاح أثارقلق الحاكم فلم يعد راضيا عن هذا المجلس الذي كان يؤمه في ذلك الوقت بعض المؤيدين للدولة العثمانية مثل حافظ وهبه والشنقيطي ولذا أمر بعزله قائلا انه جعل مجلسه مأوى للاجانب وهو لا يأمن منه »(١٥) ، وهكذا صدر الأمر بعزل الشيخ يوسف عن ادارة المدرسة المباركية التي سعى من أجل تأسيسها وتحمل مسئولية ادارتها بدون مقابل وكما يذكر عبد العزيز الرشيد « لو استشير في أمرها ــ الشيخ مبارك ــ لكان من أكبر المعارضين لها ، ولكنه لم يراجع فيها الا بعد ان تقرر انشاؤها »(١٦) .

بعد أن صدر أمر العزل توجه أحد أعضاء المدرسة المباركية وهو « حمد الخالد » الى الشيخ يوسف برجاء أن يذهب الى الشيخ مبارك ويصطحب معه أخاه حسين ويعتذرا له ويطلبا العفو منه ، ثم بعدها يقدم استقالته : ولكن ماذا كان موقف الشيخ يوسف من هذا الاقتراح ؟

كان الشيخ يوسف يعتقد أن المؤمن هو الذي صدق ما عاهد الله عليه بعقله وقلبه ولسانه ، وقول الحق لا يعلو عليه والدين الاسلامي يحفظ للانسان كرامته ولذلك فقد أبت نفسه أن يعتذر عن ذنب لم يرتكبه فرفض الذهاب الى الشيخ مبارك وقال لحمد الخالد أنا لم أرتكب ذنبا اعتذر عنه وأطلب العفو ، أما تقديم الاستقاله فهذا كذب أرفضه ولن اقدمها وسأقول أن الشيخ مبارك أقالني ،

عندئذ طلب منه حمد الخالد تسليم النظاره في اليوم التالي الى الناظر الجديد الشيخ « يوسف الحمود » ـــ أحد المعلمين بالمدرسه ـــ قائلا« للشيخ يوسف » « الله يهديك الله يهديك »، (١٧) .

لقد احتفظ الشيخ يوسف بموقفه العادل وهو يقول « عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » فهو لم يرغب في الانحراف عن جادة الصواب وإن أدى ذلك الى غضب الحاكم لأن رضا الله سبحانه وتعالى هو الهدف والغاية ، فكأنما أراد الشيخ يوسف أن يوجه رساله الى الناس بضرورة الثبات على المبدأ مهما كانت النتائج .

وفي اليوم التالي قام بتسليم إدارة المدرسة الى الشيخ يوسف الحمود الذي لم يستمر في وظيفته مدة طويلة وعين بعده عاصم الأزميري الذي استوطن الكويت عام ١٩١١ ثم تم تعيين الشيخ عبد العزيز الرشيد ثم عاد الأزميري الى ادارة المدرسة حتى عام ١٩٢٦ ويذكر الشيخ عبد الله النوري الذي دَرَّس في المدرسة المباركية خمس سنين الى عام ١٣٤٧ م (١٩٢٩) « أن خير عهد مر على المباركية قبل عهد المعارف عهد الشيخ يوسف بن عيسى »(١٨) .

وهكذا فقد عزل عن ادارتها بأمر من الحاكم ولا تشير المصادر التاريخية الى أن اعضاء المدرسة أو غيرهم من التجار والوجهاء قد سعوا عند الشيخ مبارك الصباح كي يعدل عن أمره ، فهم يعلمون صعوبة ذلك ، ولكن مما لا شك فيه أن موقف الشيخ يوسف هذا قد ضاعف من احترام الناس له وظلت مكانته محتفظة بمنزلتها الرفيعة .

إستمرت المدرسة المباركية في أداء دورها وايقاظ الوعي بين الكويتيين ولم يتم انشاء مدارس اخرى حتى عام ١٩٢١ في أعقاب تولى الشيخ أحمد الجابر حكم البلاد حيث دخلت الكويت عهدا جديدا أوسع من التفتح والوعي الفكري والسياسي توج بإنشاء مجلس الشورى بالتعيين وإن لم يستمر سوى فترة قصيرة .

أما الشيخ يوسف فقد أخذ يزاول العمل التجاري المتواضع الى جانب

استمراره في جعل مجلسه كما كان مجلس دين وعلم وفكر ، وكان أيضا يعطي الدروس في ديوانه بدون مقابل .

ثانيا : دوره في تأسيس المدرسة الاحمدية :

يعد تأسيس المدرسة الاحمدية بداية لمرحلة جديدة دخلها التعليم النظامي في الكويت ، تهدف الى دفع عجلة التعليم الى الامام والعمل على تحريره من أسر بعض العلوم التقليدية ، وقد اتيحت الفرصة لتحقيق ذلك حين طلب حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر من الشيخ يوسف اصلاح التعليم في المدرسة المباركية فرحب الشيخ يوسف ولكنه اشترط أن لا يتدخل أعضاء المدرسة في منهج التعليم فوافق الشيخ أحمد الجابر على ذلك وطلب منه أن يناقش الامر معهم ، وبالفعل اجتمع الشيخ يوسف بهم وعرض عليهم ادخال العلوم العصرية واللغة الانجليزية فلم يوافقوا ، عندئذ وكما يقول الشيخ يوسف « كرهت اعادة الشقاق بيني وبينهم »(١٩) فهم يرفضون ادخال تعليم اللغة الاجنبية مع أن تعلم لغة اجنبيه ضرورة ولا يتعارض وتعاليم الدين الاسلامي الحنيف فالرسول صلى الله عليه وسلم أوصى زيدا أن يتعلم السريانية فتعلمها كتابه وقراءة(٢٠) ولذلك لم يتوقف الشيخ يوسف عن السعي فأخذ يعرض الاقتراح على من يتوسم فيهم الموافقة على تطوير التعليم وتم ذلك في محل السيد خلف النقيب ، وكان بين الحضور عبد العزيز الرشيد الذي اقترح على الشيخ يوسف ترك المدرسة المباركية على ما هي عليه والعمل على تأسيس مدرسة ثانية تدرس فيها العلوم الحديثة واللغة الانجليزية ، ولما كان الحضور من المؤمنين بأهمية التجديد وتطوير التعليم لكي يواكب الاحداث والتطورات التي كانت المنطقة تمر بها ، فقد لقى هذا الاقتراح ترحيبهم ومن ثم بدأ الاكتتاب للمدرسة الجديدة (٢١) ، ولكن في الوقت نفسه استمرت المعارضة نشطة ضد المشروع من بعض المتزمتين ، الذين تأثر بعضهم برأى الشيخ عبد العزيز العلجي أحد علماء الاحساء والذي كان يقوم بزيارات للكويت بين الحين والاخر حيث يحل ضيفاً على شملان بن سيف فقد كانت بعض الاسر الكويتية تستضيف احد العلماء لالقاء بعض الدروس مما يتيح الفرصة لطلبة العلم

للاستفادة . وكان هذا الشيخ متعصبا وقد لاقى تزمته قبولاً من بعض الكويتيين الذين كانوا يُكَفِرون كل من يطالب بالتجديد ، وللوصول الى حل فقد دعا الشيخ أحمد الجابر في ١٤ مايو ١٩٢١ عددا من رجالات الكويت للاجتماع لمناقشة موضوع التبرع للمدرسة الجديدة فانقسم الحضور الى مجموعتين مجموعة تستحسن المشروع والاخرى تأثرت بالرأي المتزمت الذي يرفض إدخال العلوم الحديثة واللغة الانجليزية ، وكانت حجتها أن هناك شخصا طلب منه أن يقول الشهادة قبل وفاته فقال « No » .

ولكن المعارضة لم تؤثر على السعي من أجل انشاء المدرسة فقد أعد الشيخ يوسف قانونها وعرضه على المؤيدين للمشروع وتطرق القانون الى خطة المدرسة والمنهج الذي يتضمن تدريس اللغة الانجليزية والجغرافيا مما أثار المعارضة التي كانت ترى أن هذه المقترحات مكروهة أما الشيخ يوسف وعبد العزيز الرشيد فقد كانا يرغبان في استقدام مدرسين من مصر وكانا يقولان « إذا يئسنا فتحنا لنا مدرسة خاصة بنا ونكتب عليها اللغة الانجليزية والجغرافيا » .(٢٢)

على أي حال ورغم كل هذه الظروف فقد استمر التبرع لانشاء المدرسة وبلغت حصيلة التبرعات ثلاثة عشر ألف روبية وقام سلطان الكليب بدور كبير في جمع الاعانات وكان الشيخ يوسف يطلق عليه وصف مشكور المساعي في الاعانات الخيرية(٢٣) وبعد ذلك بدأ تشييد المدرسة وقد أشرف على عملية البناء الشيخ يوسف وافتتحت أبوابها للدراسة في نفس العام ١٩٢١ وسميت المدرسة الاحمدية نسبة الى حاكم الكويت آنذاك الشيخ أحمد الجابر والذي تبرع لها بمبلغ ٢٠٠٠ روبية سنويا ، وكان ناظر المدرسة هو الشيخ يوسف بن عيسى .

ونظرا للدور الذي قام به الشيخ يوسف من أجل أن يرى هذا المشروع النور فقد تعرض هو وعبد العزيز الرشيد الى الكثير من الاتهامات التي تشير الى المدى الذي وصل اليه المتزمتون فقد اتهما بالزندقة ، ورد عبد العزيز الرشيد على المعارضين برسالة أسماها الدلائل في حكم تعليم اللغات(٢٤) أشار فيها الى تزمت

الشيخ العلجي والى أسباب خلافه معه .

أما الشيخ يوسف فانه يأخذ بتعريف الرسول صلى الله عليه وسلم للعالم بقوله « العالم هو البصير بالحق اذا اختلف الناس فيه » هذا هو العالم ، لا الذي يحفظ المتون والشروح ويعتقد في الخرافات ولا يميز بين الصحيح والفاسد والممكن والمستحيل(٢٥) وقد كتب الى صديقه شملان بن سيف الذي كان يؤدي فريضة الحج في ذلك الوقت يقول « أرجو من الله أن يعيدك سالما ويفسح لك بالاجل سنتين حتى ترى ما يسر بحول الله وقوته وحينئذ تظهر الزندقة التى رمانا بها الشيخ عبد العزيز العلجي عفا الله عنه ، ويتبين فساد العقيدة التي لا يبرئنا منها بعض الأحباب »(٢٦) وكانت تربط الشيخ يوسف بالشيخ العلجي علاقة طيبة ولكنهما اختلفا في النظرة الى الدين وأهمية الاصلاح والتجديد .

استمرت المدرسة في نشاطها واشرف على ادارتها مجلس منتخب ضم كلا من : سلطان الكليب ـــ مشاري الكليب ـــ مشعان الخضير ـــ السيد علي السيد سليمان ـــ عبد الرحمن النقيب .

قطعت بعد ذلك المدرسة الاحمدية شوطا لا بأس به في ادخال العلوم الحديثة مما افسح المجال أمام العمل على تطوير التعليم والاكثار من انشاء المدارس وأن ظلت العقبة المالية تحول دون تحقيق ما كان يتطلع اليه المجتمع الكويتي من تجديد وتطوير يتحققان من خلال انشاء المدارس وتطوير التعليم . ولقد تم ايفاد أول بعثة دراسية من الطلبة الذين درسوا في المدرستين المباركية والأحمدية الى بغداد عام ١٩٢٥ للدراسة في الكلية الاعظمية وقد تألفت من سبعة طلاب وكانت تحت اشراف الشيخ يوسف الذي كفل البعثة بحيث أنه لو لم تكمل دراستها ، عليه أن يدفع غرامه ، وقد غادرت البعثة الكويت الى البصرة يرافقها الشيخ يوسف وهناك قدموا الامتحان في مدرسه الرحمانية وعندما اثبتوا جدارتهم سجلوا في الكلية الاعظمية . عدا الشيخ فهد السالم الصباح فقد ظل في المدرسة الرحمانية (٢٧) .

وقد أشاد عبد العزيز الرشيد بدور الشيخ يوسف في هذا الخصوص فبعد أن أثنى على دور الشيخ أحمد الجابر ، أضاف قائلا « أما الذي يستحق التنويه من

أهل الكويت بعد سمو الامير لشد أزر تلك البعثة واهتمامه بمصالحها وايقاف نفسه على ما ينفعها فهو مصلح الكويت الفذ الذي تنظر اليه في كل شدة وضيق وتؤمل منه كل خير واصلاح فحياه الله وابقاه وأكثر في الكويت من أمثاله[٢٨] »

استمرت المدرستان الاحمدية والمباركية في تأدية رسالتيهما في سبيل نشر العلم بين أبناء المجتمع الكويتي بالاعتماد على الاعانات والتبرعات من التجار بشكل عام ، ولذلك فان حالهما كان يتأثر بالظروف المالية للمتبرعين ، ففي أعقاب الازمة العالمية الاقتصادية في أوائل الثلاثينات والتي انعكست أثارها على الكويت تأثرت أوضاع المدرستين ، بالاضافة الى مشكلة المسابله بين الكويت ونجد ، وكساد تجارة اللؤلؤ وظهور اللؤلؤ الياباني المولد ، لكل هذه الأسباب توقف التجار عن دفع المعونة السنوية الى المدرسة الاحمدية التي أصبحت تعتمد على الاعانة التي يقدمها الشيخ أحمد الجابر فقط حتى عام ١٩٣٦[٢٩] . ولا شك أن موقف الشيخ أحمد الجابر من تأسيس المدرسة وتمويلها كان له الدور الأساسي في استمرارها .

ثالثا : دوره في تأسيس مجلس المعارف :

بحلول عام ١٩٣٦ ومع تحسن الاوضاع الاقتصادية في الكويت بعد عقد اتفاقية التنقيب عن النفط بين شركة بترول الكويت (أمريكية ــ بريطانية) ، وحاكم الكويت في ديسمبر ١٩٣٤ ، بدأ الناس يتحدثون عن ضرورة تطوير التعليم بما يتناسب مع التطورات الجديدة[٣٠] كما تولدت لدى المهتمين بشئون التعليم القناعة بوضع الخطط الكفيلة برفع مستواه ، ومن أجل تحقيق هذه التطلعات والاهداف كان لابد من توفير ميزانية دائمة للتعليم واشراك السلطة الرسمية في الاشراف عليه ، فا جتمعت جماعة من التجار[٣١] في منزل الشيخ يوسف بن عيسى وناقشت شئون التعليم وميزانيته وضرورة أن يصبح تحت الاشراف الحكومي ، واستقر الرأي على التقدم الى الشيخ أحمد الجابر بإقتراح رفع الرسوم الجمركية ½٪ تخصص للتعليم ، ومن المعروف ان الرسوم الجمركية ومقدارها ٤½٪ كانت المورد الأساسي للحكومة و بالفعل طلب

المجتمعون من رئيس البلدية الشيخ عبد الله الجابر رفع اقتراحهم الى حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر الذي لم يشأ اصدار أمر الموافقة بشأن الاقتراح الا بعد أن يعرضه على عدد من التجار يستطلع رأيهم وموافقتهم عليه ، فأستقر الرأي على أن يتم عرضه بواسطة مجلس البلدية على ثمانين من التجار وتم ذلك في يوليو ١٩٣٦ ، ووافق المجتمعون على الاقتراح ومن ثم صدر أمر حاكم الكويت برفع الرسوم الى ٠.٥٪ وتجمع في صندوق الجمرك بعد مضي اربعة أشهر (٦٣٫٠٠٠) روبية خاصة بميزانية التعليم ، وبذلك أصبح له مورد مالى ثابت كما تم وضعه تحت الاشراف الحكومي ، وفي أكتوبر ١٩٣٦ أصدر الشيخ أحمد الجابر أمرا بتشكيل مجلس للمعارف يتولى شئون التعليم ، فأجريت الانتخابات وتكون المجلس من أثنى عشر عضوا برئاسة الشيخ عبد الله الجابر الصباح وانتخب الشيخ يوسف بن عيسى مديرا فخريا للتعليم ، وعبد الملك الصالح سكرتيرا وامينا للصندوق ،(٣٢) وقد بدأ المجلس أعماله مباشرة ، وحرص الشيخ يوسف على أن يوضح للأعضاء ما سبق أن طلبه من الشيخ أحمد الجابر وهو عدم تدخل الاعضاء في منهج التعليم ، وكان المجلس يعقد جلسانه مساء يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع لأن أغلب الأعضاء من التجار الذين لا يسمح لهم الوقت الاجتماع نهارا(٣٣) .

وفي نفس الشهر (اكتوبر) صدر قانون المعارف ويتكون من تسع مواد ، نصت المادة الاولى منه على أن يتألف المجلس من ستة أعضاء ورئيس من الاسرة الحاكمة ومدة المجلس سنتان وذلك بموجب المادة الثانية حيث تجري الانتخابات بعد انقضاء هذه المدة(٣٤) ، وفي سنة ١٩٣٨ خصص المجلس التشريعي نصف واردات مصلحة النقل والتنزيل لميزانية المعارف(٣٥) ورفع الشيخ عبد الله السالم بعد ذلك رسم الجمارك المخصص للمعارف الى ١٪ (٣٦) .

وهكذا شيئا فشيئا أخذ مرفق التعليم ينمو بشكل واضح وازداد عدد المدارس في الوقت نفسه استمرت مساهمة الشيخ يوسف مع باقي الاعضاء في تطوير ورعاية التعليم .

وفي العام الدراسي ١٩٣٦/ ١٩٣٧ استقدم مجلس المعارف أول بعثة تعليمية عربية من فلسطين(٣٧) وعين أحد أعضائها وهو السيد أحمد شهاب الدين مديرا للتعليم وللمدرستين المباركية والاحمدية ، ولكن ظل الشيخ يوسف يقوم بواجبه المعتاد فكان يداوم يوميا عدة ساعات في المدرسة المباركية قبل ذهابه الى محله التجاري(٣٨) .

وفي عام ١٩٤٢ وصلت أول بعثة تعليمية عربية من مصر ، ومنذ عام ١٩٤٣ بدأ تطبيق المناهج المصرية ، مع بعض التعديلات ، التي تتناسب مع المجتمع الكويتي . كما تم انشاء المعهد الديني حيث كان للشيخ يوسف مساهمة في ذلك .

وبعد البدء بتصدير البترول في يونيه ١٩٤٦ أصبح هناك دخل وطني كبير ولذلك فقد تم تخصيص ميزانيه كبيرة للتعليم مما ساعد على نموه وتحسين اوضاعه .

أما الشيخ يوسف بن عيسى فقد ظل حريصا على متابعة تطور التعليم في الكويت حريصا على حمايته من التأثيرات الاجنبيه ، علما بأنه أول من عمل على ادخال تعليم اللغة الانجليزية في مدارس الكويت كما اشرنا سابقا ، وهذا لا يعني أنه كان يقبل التساهل في ادخال ما قد يؤثر على المجتمع الكويتي العربي المسلم ، فهو يدعو الى الاستفادة من ثقافة الغرب ومنجزاته وصناعاته الحديثة فكل هذا ينبغي الافادة منه مادام لا يؤثر على طبيعة المجتمع الكويتي وتقاليده وعاداته ، وانطلاقا من هذا الاحساس الوطني الصادق فقد اعترض على محاولات السلطات البريطانية ادخال التأثير الغربي المسيحي على التعليم في الكويت ، حين رفض في عام ١٩٣٩ الموافقه على اقتراح بريطاني بتعيين مدير انجليزي للتعليم ولكنه لم يعترض على مجيء أحد العاملين من الانجليز في مجال التربية وهو (فالنس) الى الكويت للاطلاع على أحوال التعليم واقتراح ما يؤدي الى تحسينه(٣٩) .

وفي الخمسينات ومع نمو التعليم والوعي الوطني والقومي في الكويت وغيرها من أقطار الوطن العربي سعت بريطانيا الى الحيلوله دون امتداد هذا التأثير الى الكويت على نحو يضر بمصالحها ، ولذلك حاولت التدخل في شئون التعليم فكان رأي الوكيل السياسي البريطاني في الكويت أن اتجاه التعليم الذي يتلقاه التلاميذ في

مدارس الكويت سيكون ضد المسيحية والغرب ، وانه غير متأكد من رد فعل وموقف الكويت من اقتراح ادخال النفوذ الأوروبي على التعليم ، خاصة وأن فكرة تعيين شخص انجليزي لتدريس اللغة الانجليزية لضمان النطق السليم تثير شكوك الكويتيين على أساس أنها محاولات للتدخل في سياستهم الخاصة بالتعليم والتي ترتكز على ضرورة أن يتولى المسلمون شئون تعليم أبنائهم وأكد الوكيل السياسي البريطاني أن الداعي الى هذا الرأي هو « القاضي الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الذي كان عضوا بمجلس المعارف وصديقا حميما للحاكم الشيخ عبد الله السالم الصباح الذي تولى الحكم في فبراير ١٩٥٠ ، ولقد أزعج موقف الشيخ يوسف الوكيل السياسي فجاء في تقريره أن « الشيخ يوسف يخفي تحت مظهر لطيف شعورا عنيفا معاديا للمسيحية » ، واقترح الوكيل السياسي نشر الدعاية البريطانية بأسرع وقت وأن أول اجراء يتخذ بهذا الصدد هو اقامة مكتب في الكويت للمجلس البريطاني الثقافي(٤٠) ، ولقد لقي هذا الاقتراح تأييد المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي على أساس أن عدم وجود تمثيل للمجلس البريطاني في الخليج قد حرم السلطات البريطانية من تحقيق آمالها في التأثير على المجتمع في هذه المنطقة ، ولذلك فان الحاجة ماسه الى اقامة مكتب في الكويت للمجلس البريطاني يخدم المصالح البريطانية(٤١) .

لقد حاول الشيخ يوسف الحيلوله دون امتداد التأثير الغربي السلبي على المجتمع الكويتي من خلال التعليم ، وكان مع كل محاولة ومشروع لتطوير التعليم شريطة التمسك بتعاليم الدين الاسلامي الحنيف ، وكان رأيه أنه « لضمان المحافظة على العادات والتقاليد الكويتية السليمة لابد من الاهتمام بالتربية وحسن اختيار المعلمين المتمسكين بالدين الاسلامي لانهم القدوة للتلاميذ ، وأن الشر كله يكمن في أن ادارة المعارف تعين المعلمين من الجنسين دون النظر إلى مدى التزامهم بتعاليم الدين الاسلامي ولكن فقط الى شهادتهم ، وما دام المعلم غير متدين فانه يؤثر على التلاميذ »(٤٢) . وفي رأيه أن أسباب تدهور أحوال المسلمين تعزى الى فساد الاخلاق والجهل بالصنائع التي تفوقت بها أوروبا على المسلمين(٤٣) .

ومع التطور والتغير الذي أصاب كل مجالات الحياة في الكويت تعرضت

المناهج العامة لكثير من التغير والتبدل لقى بعضها استحسانا ، بينما البعض الاخر لم يحظى بمثل هذا الاستحسان ، وبالرغم من كبر سنه فقد ظل الشيخ يوسف يقوم بدور ايجابي في الارشاد ويبدى رأيه في القضايا الاجتماعية والتربوية العديدة .

رابعا : دوره في تأسيس المكتبة الاهلية ١٩٢٢/ ١٩٢٣ :

يعد انشاء المكتبة الاهلية عام ١٩٢٣ والتي أصبح لها الان العشرات من الفروع في مختلف أنحاء الكويت أحد الانجازات التي كان للشيخ يوسف دور في تحقيقها ، ولقد أشرنا من قبل الى أن ديوانه كان يحوى العديد من المؤلفات المتنوعة والمجلات والصحف كالهلال والمقطم وكان يؤمه القراء للقراءة والاطلاع ولكن في اعقاب تأسيس المدرسة الاحمدية عام ١٩٢١ رئي أن الحاجة أصبحت ماسه الى انشاء مكتبه عامه يتردد عليها الجميع وقد تداول موضوع انشاء المكتبة بعض رجالات الكويت وكان من بينهم الشيخ يوسف بن عيسى وعبد الحميد الصانع وسلطان ابراهيم الكليب حيث كانوا يتطلعون الى تأسيس مكتبة تكون مقرا للبحث والقراءة وبعد عدة اجتماعات تم إنشاء المكتبة التي يقول الشيخ يوسف أن الفضل في تأسيسها يعود الى أحد الكويتيين المعروفين وهو السيد هاشم(٤٤) ، وبالفعل تم لهم ذلك وبدأت تستقبل القراء في سنة ١٩٢٣ ، وتبرع لها كثير من الاهالي بالكتب والاموال كما تم نقل كتب الجمعية الخيرية اليها ، ونظمت لها اشتراكات بعدة صحف ومجلات مثل البلاغ والاهرام والمقطم ، كما تم وضع قانون لها ، واختير عبد الله العمران النجدي امينا لها ولقد نقلت المكتبة الى عدة اماكن ، وكان الشيخ يوسف أحد أعضاء لجنة ترعى شئونها ومكونة من السيد على السيد سليمان ــ عبد الله الحمد الصقر ــ سليمان خالد العدساني ــ خالد عبد اللطيف الحمد ــ عبد الله محمد ثنيان الغانم ، وهي التي كانت تبحث في شئونها وسعت الى بناء مقر ثابت لها وقد شجعها تجاوب الاهالي وتبرعت إحدى المواطنات الكويتيات

وهي « السيدة شاه حمد الصقر » بحانوت لها كمقر للمكتبه(٤٥) . كما تم الحاق حوانيت ، أخرى بها .

وبعد تشكيل مجلس المعارف في عام ١٩٣٦ تم تعيين السيد محمد صالح التركيت أمينا لها بترشيح من الشيخ يوسف بن عيسى ، وكانت المكتبة ملتقى الادباء بشكل عام وتدور بينهم احاديث متنوعة في الفقه والادب والسياسة(٤٦) . وأصبح الشيخ يوسف رئيسا لمجلس ادارتها وسلطان الكليب مديرها(٤٧) .

وبعد ففى الصفحات السابقة القينا الضوء على دور الشيخ يوسف في نشر المعرفة والتعليم في الكويت وهو المجال الذي كان يهتم به نظرا لما له من تأثير على حاضر ومستقبل المجتمع . وكان لتكاتف وتعاون المجتمع الكويتي أثره في استمرار هذا الدور ونجاحه .

هوامش

(١) عبد الله النوري . المرجع السابق ص ٣٧ .

(٢) المجلة التاريخية ــ السنة الثالثة عشره ــ العدد ٤١ ــ ٤٢ يونيه (حزيران) ١٩٨٦ تونس ص ٢١٧ .

(٣) عبد الله النوري . المرجع السابق .

(٤) الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ــ صفحات من تاريخ الكويت . دار سعد ــ مصر ١٣٦٥هـ ــ ١٩٤٦ . أنظر مقال الأستاذ سيف الشملان عن الشيخ يوسف ــ مجلة مرآة الأمة ١٩٧٣/٧/١٢ .

(٥) عبد العزيز الرشيد المرجع السابق ص ٢٨٨ ــ ٢٩٠

(٦) عبد الله النوري المرجع السابق ص ٣٥ .

★ كتب عبد العزيز الرشيد عن الشيخ ناصر « إشتغل بطلب العلم على ايدي أساتذة في الكويت فتحصل على شيىء من العلوم الدينية وانصرفت همته الى التأليف فاشتغل بوضع حاشية على شرح السيوطي لالفية بن مالك ولكن لم يكملها ، ويضيف كان أكبر معين له على المطالعة والبحث سكرتيره الخاص الاديب الفاضل سليمان العدساني »

عبد العزيز الرشيد المرجع السابق ص ١٩٦ ــ ١٩٧ .

(٧) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .

(٨) عبد الله النوري . المرجع السابق ص ٥٣ ــ ٥٤ ــ ٦٨ .

(٩) المرجع السابق ص ٥٣ ــ ٥٥

(١٠) مقابلة تلفزيونية مع السيد عبد الله عبد العزيز السدحان أجراها الاستاذ سيف الشملان ١٩٨٧/٥/٢٥ .

(١١) كانت تربطه بالمجاهد عبد العزيز الثعالبي صداقة متينة . وكان قد التقى في الآستانة بعدد من رجال الاصلاح امثال رشيد رضا . لمزيد من التفاصيل انظر ، خالد سعود الزيد . أدباء الكويت في قرنين الجزء الاول ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ ــ المطبعة العصرية ــ الكويت ص ٣٦ .

(١٢) عبد الله الخاتم المرجع السابق ص ٣٦٤ .

(١٣) الملتقطات الجزء الثالث ص ٢٤٤ ــ ٣٦٤ .

(١٤) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .

(١٥) المرجع السابق .

(١٦) عبد العزيز الرشيد . المرجع السابق ص ١٩٢ .

(١٧) المقابلة التليفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .

(١٨) عبد الله النوري . المرجع السابق ص ٥٦ ــ ٥٧

(١٩) الملتقطات الجزء الثاني ص ٢٢٨ .

(٢٠) المرجع السابق الجزء الأول ص ٩٥ .
(٢١) المرجع السابق الجزء الثاني ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩ .
(٢٢) مجلة مرآة الامة ــ مقال الاستاذ سيف الشملان عن الشيخ يوسف ١٩٧٣/٨/٢٣
(٢٣) الملتقطات الجزء الثاني ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩ .
(٢٤) مقال الاستاذ سيف الشملان ــ المرجع السابق .
(٢٥) الملتقطات ــ الجزء الأول ص ٤٩ .
(٢٦) مقال الاستاذ سيف الشملان ــ المرجع السابق .
(٢٧) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف .
(٢٨) عبد العزيز الرشيد ــ المرجع السابق ص ٢٣٨ .
(٢٩) الملتقطات الجزء الثاني ص ٢٢٩ .
(٣٠) الاستاذ صالح عبد الملك الصالح ــ محاضرات الموسم الثقافي ــ رابطة الاجتماعيين ــ الكويت تطور التعليم في الكويت . ١٩٦٨ ص ٩٨ .
(٣١) حضر الاجتماع : الشيخ يوسف بن عيسى ، السيد علي السيد سليمان ــ نصف اليوسف ــ مشعان الخضير ، عبد الله العسعوسي ــ سلطان الكليب ــ محمد أحمد الغانم ــ سليمان العدساني ــ مشاري الحسن البدر .
(٣٢) أعضاء مجلس المعارف هم : الشيخ يوسف بن عيسى ــ أحمد المشاري ــ يوسف الحميضي ــ عبد الله الصقر ــ مشاري الحسن ــ سلطان الكليب ــ نصف اليوسف ــ محمد الغانم ــ سليمان العدساني ــ يوسف العدساني ــ السيد علي السيد سليمان ــ مشعان الخضير ....
عبد الله النوري . المرجع السابق ص ٥٧ .
(٣٣) يوسف شهاب ــ رجال في تاريخ الكويت ــ الجزء الاول مطابع دار القبس الكويت ١٩٨٤ ص ١٦٢ .
(٣٤) د. بدر الدين الخصوصي ــ دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي ١٩١٣ ــ ١٩٦١ . وكاله المطبوعات ــ الكويت ص ٤٢٦ ــ ٤٢٨ .
(٣٥) خالد العدساني ــ نصف عام للحكم النيابي في الكويت جمادي الأول ــ ٢٥ شوال ١٣٥٧ ــ الطبعة الثانية ــ الكويت مؤسسة فهد المرزوق ص ١٧ .
(٣٦) الملتقطات الجزء الثاني ص ٢٢٩ .
(٣٧) صالح شهاب . المرجع السابق ص ٦٠ .
(٣٨) فوزية العبد الغفور . المرجع السابق ص٩٠ .
(٣٩) - I-O R 15/5/206 - Confidential News of local Affairs.
(٤٠) - F-O 371/104330 -81795 Political Agency-21 st sep- 1953.
(٤١) - 371/104330-81795 Political Residency - Bahrain - conf- 79-1953.
(٤٢) المقابله التليفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .
(٤٣) الملتقطات الجزء الثاني ص ٢٢٦ .

(٤٥) عبد الله الحاتم . المرجع السابق ص ٦٧ .

(٤٦) مذكره حول نشأة وتطور المكتبة الاهلية اعداد السيد محمد صالح الذي كان له الدور الاساسي في تطويرها خلال الفترة ١٩٣٦ ــ ١٩٦٩ .

(٤٧) عبد العزيز الرشيد المرجع السابق ص ٢٩٥ .

الفصل الثالث

الشيخ يوسف والقضاء

تطور القضاء في الكويت :

قبل ان نتناول دوره في هذا المرفق الهام والحساس سنطرح بايجار تاريخ القضاء في الكويت ، فقد كان عند نشأتها بسيطا يتناسب وبساطه المجتمع الكويتي فالمنازعات نادره ولا خصومات كثيره ، وفي حالة وقوعها تحل دون الحاجة الى ان تنظر فيها محكمة أو رفعها الى الحاكم ، وفي تلك الفترة لم تكن ثمه محاكم أو قضاة رسميون ولا قوانين تحكم المعاملات بين أفراد المجتمع الذي عرف بهدوئه وبساطته وتجنبه اثارة المنازعات والمشاكل ، وفي حالة ما اذا نشب خلاف ما يختار الخصوم من يحكم بينهم من أهل الثقة والعدل والنزاهة وكان حاكم البلاد هو المسئول عن تطبيق العدالة[١] اي كان الشيخ الحاكم أو من ينوب عنه من افراد اسرته حيث يوكل اليه امر فض المنازعات وقاضي الشرع هما مرجع الأحكام في الكويت . اما الأحكام فلم تكن تسير وفق الشريعة الاسلامية بقدر ما كانت مطابقة للسالفه[٢] فكانت التقاليد والعرف هي الأساس الذي يعتمد عليه في حل المنازعات ، ومن المعروف ان الأخذ بالسالفه أو العرف لم يكن وقفا على الكويت وحدها ، بل كان ذلك هو السائد في معظم البلدان المجاوره ، ولذلك فان احد اهداف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية في نجد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر العوده الى احكام كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) والى ما جاء به الأئمة الأربعة[٣] .

ويقول الشيخ يوسف بن عيسى عن القضاء في الكويت «فاذا صار الأمير عادلا والقاضي نزيها جرت الأحكام على وجه العدالة الشرعية وان بليت بأمير ظالم وقاضي مرتشي فقدت العدالة وحصل الظلم «ولكنه اشاد بنزاهة اغلبهم فيقول

«فطرة الكويتيين قائمة على الانصاف وعدم التعدي »[٤] .

وبالرغم من شيوع السالفة الا ان الشريعة الاسلامية كانت تشكل قيداً على سلطة الحاكم الى جانب التقاليد والعرف[٥] .

وتسير الأحكام وفق المذهب المالكي أما الشيعة فعلى الفقه الجعفري وكان الحاكم يجلس في السوق عند الظهيره ووقت العصر في الصفاة وسط المدينة فيأتي اليه المتخاصمون يشتكون عنده فيبدأ المدعي الحديث ثم المدعي عليه ويفصل او يحكم بينهما حالا دون تسجيل للمشكلة ، فاذا نطق الحاكم بالحكم يلتزم المتخاصمون بتنفيذه ، ولكن اذا طلب احد الخصوم حكم الشريعة يذهبون الى القاضي الشرعي في ديوانه وهو على دراية باحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[٦] . وبعد أن يستمع إلى القضية ينطق القاضي الشرعي بالحكم في الجلسة نفسها ايضا وبدون تسجيل بل نادرا ما كانوا يحتاجون إلى شهود[٧] .

ومن القضايا التي كان ينظر فيها القاضي الأحوال الشخصية وبيع الأراضي ومسائل الارث والتنازل والوكاله وتحويل الملكية لسداد الدين[٨] .

وكانت الخصومات كما أشرنا قليله حتى انه كان في كثير من الأحيان يجلس الحاكم والقاضي ويغادران المجلس دون أن يحضر اليهما احد ولا شك ان اعتماد الأهالي في الكويت على «كبير المحله» اي الحي في حل المشاكل بين المتخاصمين سواء كانوا رجالا أو شبابا أو أزواجا قد خفف من لجوء المتخاصمين الى الحاكم أو القاضي . فقد كان الاهالي يفضلون حل مشاكلهم دون اللجوء الى المحكمة .

ولكن مع النمو العام النسبي الذي شهدته الكويت في اواخر العشرينات من هذا القرن انشئت اول محكمة لها سجل للدعاوي ومأمور لتسجيل الأملاك[٩] . ولم تكن الكويت تعرف في ذلك الوقت قضايا مدنية أو تجاريه وتدريجيا شهد مرفق القضاء النمو فاصبح هناك دفاتر عبارة عن سجلات للاحكام حيث يملي القاضي على الكاتب اسم المدعي والمدعي عليه والحكم الذي صدر بحق القضية دون

الاشارة الى مضمونها ، وفي السجل يكتب رسالة الى رئيس المحاكم تتناول مضمون الدعاوي والحكم .

ولكن بعد عام ١٩٤٤ اصبح يذكر باختصار مضمون دعوى المدعي ورد المدعي عليه وفي الوقت نفسه يتم الترافع ، ويصدر الحكم الذي يرسله رئيس المحكمة الى المسئولين عن تنفيذ الأحكام فاذا رفض المدعي عليه التنفيذ يوضع في السجن مدة قصيرة الى ان ينفذ الحكم(١٠) .

اما بالنسبة لفض المنازعات التجارية فهناك لجنة تنظر فيها بالاضافة الى بعض اللجان غير الدائمة والتي يتم تشكيلها عند الحاجة(١١) .

أما التمييز فقد كان عند الشيخ يوسف بن عيسى الذي كان الفاصل في الدعاوي . كما سيأتي في الصفحات التالية .

وخلال وجود المجلس التشريعي في الفترة ما بين يوليو الى ديسمبر ١٩٣٨ ادخلت عدة اصلاحات على نظام القضاء بشكل عام حيث انيط الحكم والافتاء في الامور لقاضيين رسميين بدلا من قاض واحد(١٢) . كما عين قاضي كرئيس للقضاة وله معاون أول ومعاون ثان ،(١٣) من ناحية اخرى اختار المجلس مقر القضاة الشرعي في مكان وسط المدينة ، وجعل مجلة الأحكام الشرعية (العدلية) المرجع في تطبيق الأحكام والفتاوي(١٤) وهي المجلة التي كانت تصدرها الحكومة العثمانية ويعمل بها في البلدان الاسلامية ، وكانت تحتوي على العديد من الأحكام والنصوص مما سهل مهمة القاضي بدلا من اضطراره الى البحث والتنقيب في عدة مراجع فقهية وما يقتضيه ذلك من جهد ووقت .

أما فيما يتعلق بالعرف فقد قرر المجلس ان يكون لرئيس هذه المحكمة معاون ، ومن الاصلاحات الأخرى ايضا تعيين موظف مسئول عن رسوم المحاكم التي الحقت بميزانية الحكومة ، كما تم تشكيل محكمة صغرى تنظر في القضايا التي تقل قيمتها عن خمسين روبية وذلك بهدف افساح المجال امام المحكمة الرئيسية للنظر في القضايا الأكثر أهمية(١٥) .

واصل نظام القضاء نموه وتطوره كما أشرنا بعد عام ١٩٤٤ عندما تشكلت هيئة من القضاة للنظر في القضايا التي ترفع اليها[١٦] . وفي عام ١٩٥٩ — صدرت القوانين المنظمة لشئون القضاء لكي يواكب التطور العام الذي شهدته البلاد وازدياد اعداد السكان والوافدين اليها ، مما ادى الى ظهور الكثير من المنازعات .

قضاة الكويت

كان القاضي في الكويت يقوم بالوعظ والارشاد[١٧] الى جانب عمله الأساسي وهو الحكم في المنازعات بين الناس كما يقوم بالتدريس في المساجد[١٨] .

أما فيما يتعلق بالقضاة الذين تولوا هذه المهمة حتى اواخر الاربعينات ، فان الشيخ محمد بن فيروز يعد اقدم القضاة المعروفين في تاريخ الكويت وتولى هذا المنصب خلال الفترة ١١٧٠م — ١١٩٧هـ ، ثم تولى بعده حسبما تشير المصادر التاريخية المحلية قاضي من آل عبد الجليل . ولكن كان أكثر قضاة الكويت من أسرة العدساني ففي عام ١١٩٧ هـ تولى القضاء الشيخ محمد محمد العدساني حتى عام ١٢٠٨هـ ثم جاء بعده الشيخ محمد صالح العدساني من ١٢٠٨ الى ١٢٢٥هـ ، ثم عاد محمد محمد العدساني الى هذه الوظيفه مرة اخرى واستمر بها من ١٢٢٨ — الى ١٢٣٣ هـ ، وخلفه بعد ذلك الشيخ عبد الله العدساني خلال المده (١٢٣٥ — ١٢٧٤هـ) .

أما الشيخ محمد بن عبد الله العدساني فقد تولى القضاء خلال الفترة من ١٢٧٤ — ١٣٣٨هـ وكان ابنه الشيخ عبد العزيز يزاول مهمة القضاء قبيل وفاة والده ويساعده في ذلك الشيخ عبد الله بن خالد العدساني الذي انفرد بالقضاء بعد وفاة الشيخ عبد العزيز سنة ١٣٣٩هـ ، واستمر في مزاولته حتى رمضان ١٣٤٨هـ[١٩] .

ومن القضاة الكويتيين ايضا من غير اسرة العدساني الشيخ علي بن شارخ الذي تولى القضاء من ١٢٢٥ الى ١٢٢٨هـ والشيخان علي بن نشوان ومحمد بن

محمود وقد توليه بالوكالة من ١٢٣٣ الى ١٢٣٥هـ . وبعد وفاة الشيخ عبد الله بن خالد العدساني ظل المنصب شاغرا مدة ثلاثين يوما ، وكان رأي الشيخ يوسف الذي نقله إلى الشيخ احمد الجابر أنه آلآن يتعين على الشيخ عبد الله الدحيان قبول المنصب فحاول حاكم البلاد الشيخ أحمد الجابر وأعيان الكويت وفي مقدمتهم الشيخ يوسف بن عيسى اقناع الشيخ عبد الله بن ملا خلف الدحيان تولي هذا المنصب الا انه رفض(٢٠) ولكن امام الحاح هؤلاء اضطر للموافقة ، شريطة ان يكون نائبا وليس اصيلا الى ان يتم اختيار قاضي اخر ، وكان الشيخ الدحيان لا يأخذ أجرا على عمله هذا ، الذي لم يستمر فيه طويلا فقد توفي في رمضان سنة ١٣٤٩هـ الموافق يناير ١٩٣١ ، اي انه تولى القضاء سنة واحدة ، ومن المؤكد انه رفض هذه المهمة لخطورتها وعظمتها(٢١) ، فقد عرف التاريخ الاسلامي شخصيات اعتذرت عن قبول هذه الوظيفة ، وهناك العديد من قضاة الاسلام ايضا كانوا يرفضون اخذ اجر على عملهم اما زهدا وورعا حيث يرون أنه لا يجوز اخذ اجر على القضاء ، وأما تعففا ، واما استغناء لأن المكلف من الذين رزقوا نصيبا حسنا من الثراء ، وهناك من كان يتولى القضاء احقاقا للحق وليس للمنفعة المادية(٢٢) .

تولي الشيخ يوسف منصب القضاء:

بعد ان تناولنا بايجاز تاريخ القضاء في الكويت ، ننتقل الى الحديث عن محور هذا الكتاب الشيخ يوسف بن عيسى ودوره في هذا المجال .

كان الشيخ يوسف منصرفا للعلم والدراسة والبحث في شئون الدين فلم يكن يقبل على تولي الوظائف الحكومية ومن بينها القضاء ، ولكن بعد وفاة الشيخ عبد الله الخلف الدحيان ألح الشيخ احمد الجابر حاكم الكويت عليه ان يقبل ان يكون قاضيا وتعذر بأنه لن يتمكن من التفرغ لهذا المنصب نظرا لمزاولته التجارة ، ولكن من المعروف ان الشيخ يوسف لم يكرس وقته للتجارة بحيث تصبح عقبة وتفسير ذلك هو ادراكه لجسامة اعباء هذه الوظيفة وخطورة مهمة القاضي وبعد تردد قبل

ان يكون قاضيا شريطة ان يكون ذلك لفترة مؤقتة ، الى حين العثور على قاضي اخر.

وافق الشيخ احمد الجابر على هذا الشرط ، وعلى هذا الأساس باشر الشيخ يوسف عمله دون أن يأخذ اجرا عليه ، وكان يسمي وكيل القضاء ، وكانت تصله القضايا للحكم فيها في محله أو منزله .(٢٣) .

وبعد سنة ونصف وفي اعقاب حادثة الخباز ، طلب الشيخ يوسف من حاكم الكويت تعيين قاضي آخر خلال ثلاثة أيام(٢٤) . واكد عزمه على تركها ، وأمام اصراره اختار الشيخ أحمد الجابر الشيخ عطية الاثري والشيخ عبد العزيز حماده لتولي وظيفة القضاء، وكانا يستشيران الشيخ يوسف للفصل في القضايا ، بل ان الاهالي انفسهم كانوا لا يطمئنون إلا لحكم ورأي الشيخ يوسف ، فبعد أن تصدر الأحكام بحق قضاياهم يذهبون اليه للتأكد من صحتها ، فأصبح بذلك الشيخ يوسف وبسبب حاجة الأهالي المميز الوحيد في الكويت(٢٥) والمرجع الأعلى لما يصدره القضاء من احكام ، « اليه تستأنف الدعاوي وعنده تتميز الأحكام ، وقضاؤه نافذ لا اعتراض عليه كما كان حكام الكويت يحتكمون اليه ويرضون حكمه(٢٦) » وكانت الأحكام الصادره عن المحكمة الشرعية يحملها اليه بتحويل من المحكمة موظف خاص فيطلع عليها ويبدي رأيه فيها ، هذا بالاضافة الى استمرار اصحاب الأحكام في مراجعته فكان يطلع على حكم المحكمة فاذا كان صحيحا ، يكتب عبارة «الحكم صحيح» ويوقع عليه ، وبذلك يكون الحكم نهائيا ، أما اذا ابدى بعض الملاحظات فان المحكمة تعيد النظر في الحكم(٢٧) . والحقيقة انه قبل ان يزاول الشيخ يوسف هذه المهمة لم يكن التمييز متبعا في الكويت(٢٨) . فكان هو قاضي التمييز في الاحوال المدنية والشخصية .

وكانت الأحكام تصدر على اساس مذهب الدولة الرسمي وهو «المالكي» ولكن بالنسبة للشيخ يوسف فانه كان شافعيا كما اشرنا من قبل الا انه لم يكن يلتزم في احكامه بمذهب معين ، بل كان يأخذ بالاصلح في حكم المسألة .

استمر الشيخ يوسف بعد ان ترك الوظيفة يزاول مهمة التمييز بدون راتب ، على الرغم من محاولات حاكم الكويت الشيخ عبد الله السالم اقناعه بقبول وظيفة رئيس القضاء التي كان يقوم بها أحد القضاه المصريين وان يخصص له راتبٌ شهريّ وسياره لتنقلاته ، ولكن الشيخ يوسف اعتذر عن قبول الراتب قائلا للشيخ عبد الله السالم « طالما تعين عليّ هذا الأمر فالسياره والراتب عندي والله يعينني عليه(٢٩) . « وظل يرفض الراتب واستخدام السيارة الحكومية ففي الشهر الأول من مزاولته العمل في المحكمة التي كان يتوجه يوميا اليها للفصل في المنازعات قام الموظف المختص(٣٠) بحمل الراتب اليه ولكنه اعاده غاضبا ، وقال «أرجعه الى من ارسله الي وقل لهم اني لم احضر هنا للعمل بمرتب ولست بحاجة لذلك وانما جئت للعمل من أجل الله سبحانه وتعالى ولمصلحة وطني الكويت(٣١) » . كذلك الحال بالنسبة لسيارة الحكومة ، فقد اصر على رفض استخدامها مهما كانت الأسباب ، فهو لم يكن يأخذ اجراً على عمله كمدير للمدرسة المباركية فكيف يقبل الأجر والامتيازات على عمله في سلك القضاء فقد اراد أن تظل قراراته واحكامه بمنأى عن التأثر بالعوامل والقيود المادية وهكذا استمر الشيخ يوسف في مزاولة عمله هذا حتى عام ١٩٧٢ حين اعتذر عن الاستمرار في اداء هذه المهام لكبر سنه ، وعندئذ انشئت دائرة التمييز بالقانون رقم ٤٠ وباشرت اعمالها في نوفمبر سنة ١٩٧٢(٣٢) .

هوامش

(١) د. أحمد مصطفى ابو حاكمه ـــ تاريخ الكويت ـــ الجزء الأول . القسم الأول الكويت ١٩٦٧ ـــ ص ١١٨ ـــ ١١٩ .

(٢) الشيخ يوسف بن عيسى . صفحات من تاريخ الكويت . ص ٣٣ ـــ ٣٤ .

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل ـــ تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب . الطبعة الثانية ـــ ١٣٩٢ ـــ ١٩٧٢ لبنان مكتبة مغنية ص ٣٣٥ .

(٤) الشيخ يوسف بن عيسى ـــ صفحات من تاريخ الكويت .

(٥) د. عادل الطبطبائي ـــ السلطة التشريعية في دول الخليج العربي ـــ نشأتها وتطورها . العوامل المؤثرة فيها ـــ ١٤ منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرةالعربية ـــ ١٩٨٥ ـــ ص ١٨ ـــ ١٩ .

(٦) الجريدة الرسمية ـــ الكويت اليوم . العدد الثاني ١٩٥٤/٢/١٨ .

(٧) مقابلة تلفزيونية مع الشيخ عبد الله النوري ـــ وقد عمل في محاكم الكويت مدة طويلة ـــ برنامج صفحات من تاريخ الكويت ـــ اجرى المقابلة السيد رضا الفيلي ـــ ١٩٦٦ .

(٨) وزارة العدل ـــ جلد ١ عدساني ـــ ١٣٥٠ هـ الى ١٣٥٣هـ نمره ٢ .

(٩) وزارة العدل ـــ المرجع السابق .

(١٠) عبد الله النوري ـــ المقابلة التلفزيونية .

(١١) الجريدة الرسمية (الكويت اليوم) .

(١٢) خالد العدساني ـــ المرجع السابق ص ١٨ ـــ ١٩ .

(١٣) عبد الله الحاتم المرجع السابق ص ٢٠٧ .

(١٤) خالد العدساني المرجع السابق .

(١٥) خالد العدساني . المرجع السابق .

(١٦) عبد الله النوري . المقابلة التلفزيونية .

(١٧) خالد سعود الزيد . المرجع السابق ص ٣٤ .

(١٨) فوزية العبد الغفور . المرجع السابق ص ٢٨ .

(١٩) الشيخ يوسف بن عيسى ـــ صفحات من تاريخ الكويت .
انظر ايضا عبد الله الحاتم . المرجع السابق ص ٢٠٥ ـــ ٢٠٧ ومذكرة وزارة العدل ـــ مرجع سبق الاشارة اليه .

(٢٠) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .

(٢١) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) « من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار » رواه ابو داود ـــ ظافر القاسمي نظام الحكم في الشريعة الاسلامية والتاريخ الاسلامي ـــ السلطة القضائية ـــ دار النفائس ـــ بيروت ـــ

(٢٢) ظافر القاسمي . المرجع السابق ص ٢١٣ ــ ٢١٤ ــ ٢١٥ .

(٢٣) كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بين الناس في المسجد أو في البيت فما كان يصدر عنه هو التشريع ، والقضاء فرع منه ــ ظافر القاسمي ــ المرجع السابق ص ٤٧٣ .

(٢٤) بموجب امر الحاكم لم يكن يسمح لأي مواطن تأجير دكان يملكه لاستغلاله كمخبز الا بعد الحصول على اذن من حاكم الكويت لكي يشتري منه احتكار ذلك ، وحدث ان تقدم ايراني من المقيمين في الكويت يطلب من الشيخ يوسف ان يسمح له بتأجير منزل له للسكن فيه ، فوافق الشيخ يوسف ولكن قام المؤجر في نفس اليوم بصنع الخبز وبيعه دون علم الشيخ يوسف ، فعندما وصل الخبر الى حاكم الكويت أمر بأغلاق المنزل المؤجر ، فاشتكى المؤجر الى الشيخ يوسف الذي قابل الشيخ الحاكم وقال له : « كيف يمكن الأمر باغلاق مسكن قاضي ، سيكون من حق الناس الظن انه ادين لمخالفته القانون » ، عندئذ اصدر الشيخ أحمد الجابر أمره باعادة فتح المنزل .

. - Ali Abdel Monein - P 152.

(٢٥) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .

(٢٦) اعلام في تاريخ القضاء الكويتي ــ وزارة العدل ــ حصلت على هذه المذكرة من السيد الفاضل عبد العزيز المطوع ــ وكيل وزارة العدل السابق .

(٢٧) مذكره عن الشيخ يوسف بن عيسى كتبها السيد عبد العزيز المطوع ــ خاصة بهذا الكتاب .

(٢٨) نبذه عن الشيخ يوسف كتبها الدكتور علي عبد المنعم خاصة بهذا الكتاب .

(٢٩) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .

(٣٠) السيد عبد العزيز المطوع .

(٣١) مذكره السيد عبد العزيز المطوع ــ سبق الاشارة اليها .

(٣٢) محضر افتتاح دائرة التمييز نوفمبر سنة ١٩٧٢ / ص ١١ .

الفصل الرابع

دور الشيخ يوسف في الحياة النيابية والسياسية

لقد قام الشيخ يوسف بدور فعال ومهم في الحياة النيابية والسياسية في الكويت لا يقل عن دوره في المجالات الأخرى ، فقد كان يدعو الى ضرورة اتباع الشورى في حكم الكويت وكان يقول «ان الله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه بالمشاورة وهو ذلك النبي الذي لا ينطق عن الهوى تعليما لأمته كي تقتدى بسنته » .

ولكن الأمة الاسلامية خالفت أمر الله سبحانه وتعالى حين أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باتباع المشورة ، فاستبد كل واحد منا برأيه ، ولو أننا عملنا بالشورى في جميع أمورنا لما وصلنا الى هذه الحالة المزرية من الانحطاط ، ويمضي قائلا: « تصور لو أن الأمة المحمدية جعلت الشورى اساسا لأعمالها الدينية والدنيوية هل تكون كما هي عليه الآن من التفرقة وتمزيق الشمل .(١) »

لقد آمن الشيخ يوسف بالشورى وأهميتها وضرورتها لأن استقرار امن البلاد وحفظها من المخاطر لا يتم الا بالشورى بين الحاكم والمحكوم ، فسلطات الحاكم مستمدة من الشريعة الاسلامية التي هي الموجه لكل شئون الحياة وكان هذا هو رأيه في الشورى النابعة من الشريعة الاسلامية . تحمس لها وكان يدعو اليها والى ضرورة اتخاذها الأساس في الحكم وادارة شئون البلاد الاسلامية ولذلك نراه يعمل على توثيق الصلة بين الحاكم والمحكوم من خلال الشورى ويحرص على ان يتم ذلك دون وقوع فتن واضطرابات ، وكان في سعيه يؤمن ان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

نظام الحكم في الكويت حتى عام ١٨٩٦ :

كان الحكم في الكويت منذ نشأته في النصف الأول من القرن الثامن عشر في أعقاب اختيار الشيخ صباح الأول حاكما يسير وفق اسلوب التشاور بين الحاكم والأهالي دون وجود مجالس شورى أو تشريعية في وقت كانت فيه الحياة الاجتماعية في الكويت بسيطة وعلاقاتها الخارجية محدودة . ولم تتخل الكويت عن هذا الأسلوب حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فقد ظل التشاور ركيزة الحكم خصوصا وانه لم يحدث ما يدفع الحكام الى الانفراد بالسلطة ، فظلوا يستشيرون وجهاء البلد في شتى الأمور ، ولكن في أثناء عهد الشيخ مبارك الصباح الذي استمر من (١٨٩٦ الى ١٩١٥) تغير اسلوب الحكم وانفرد في ادارة شئون البلاد ، ولا شك ان عوامل كثيرة وملابسات احاطت بظروف حكمه وتوليه السلطة دفعته الى انتهاج اسلوب الحكم الفردي .

ولم يكن بمقدور احد الاعتراض على هذا الأسلوب الذي استمر بعد وفاته ايضا اثناء حكم الشيخ جابر بن مبارك خلال الفترة (نوفمبر ١٩١٥ — فبراير ١٩١٧) والشيخ سالم بن مبارك خلال الفترة (فبراير ١٩١٧ — فبراير ١٩٢١) .

ويقول عبد العزيز رشيد في هذا الصدد ما يلي « كان الحاكم يستشير وجهاء القوم فيما ينتابه من المهمات وفيما يحفظ البلد من طوارىء الحدثان ويحميها من هجمات الأعداء وليس له الرفض ولا الخيار بعد ان يستقر رأيهم على أمر لأن السلطة الحقيقية لهم وانما يعطي اسم الرئاسة عليهم تفضلا »(٢) .

أما الشيخ يوسف فيقول «منذ تأسست الكويت الى سنة (١٣٣٩ هـ) حين تولى الحكم صاحب السمو أحمد الجابر لم يكن بها مجالس تذكر انما اذا بدا لأمراء آل الصباح امر تشاوروا فيه مع جماعتهم وعملوا ما به الخير للبلد وأهله ، ولكن مبارك الصباح ابطل هذه السنة الشريفة ولم يلتفت للمشاورة مع جماعته ولهذا حدثت مشكلات منها حربه مع ابن الرشيد وسعدون ، وقد انكسر جيشه فذهبت هيبة الكويت المعنوية فضلا عما نالها من الضرر في

الأموال والأرواح ، ولما تولى ابنه سالم أعلن الحرب على الأخوان من عشيرة مطير ولم يراجع جماعته في ذلك ولم يكن هناك لاعلان هذه الحرب من سبب »[٣] ، وفي مطلع العشرينات من القرن الحالي ادرك أهل الكويت خطورة الاستمرار في أسلوب الحكم الفردي ، وعدم مشاركتهم في ادارة شئون بلدهم ولذلك سعوا من أجل اعادة نظام الحكم على أساس الشورى وقام الشيخ يوسف بدور أساسي وفعال في التنبيه إلى أهمية اتخاذ هذه الخطوة للمحافظة على أمن الكويت وتجنبها المشاكل ، ولذلك فقد انتظروا الفرصة المناسبة في أعقاب وفاة الشيخ سالم بن مبارك في ٢٢ فبراير ١٩٢١ ، وبينما كان الشيخ أحمد الجابر أقوى المرشحين لتولي الحكم يقوم بزيارة للرياض للتباحث مع ابن سعود بشأن مشاكل الحدود بين البلدين ، بدأت المشاورات بين الكويتيين حول أهمية إقامة مجلس شورى ، وعقد جماعة من الوجهاء من بينهم الشيخ يوسف إجتماعا في ديوان ناصر البدر لمناقشة هذا الأمر .

تأسيس مجلس الشورى ١٩٢١ :

وبعد مشاورات ومناقشات أجمع الحضور على ضرورة انشاء مجلس شورى ، ولكن كان لابد أولا من السعي عند المسئولين من الأسرة الحاكمة لاقناعهم وكذلك تشجيع الأهالي على مساندة هذه الخطوة التي تهدف ضمان أمن واستقرار الكويت .

ولقد قام الشيخ يوسف بدور أساسي لتحقيق هذا الهدف فقد دأب يشرح لجماعة من التجار والوجهاء أهمية الشورى منبهاً الى أن ترك الأخذ بالشورى أدى الى وقوع معارك ومشاكل أصابت الكويت بكثير من الأضرار مثل معركة حمض والجهراء وأكد على انه يجب أن لا يبت الحاكم بعد ذلك في شيء الا بعد استشارة الجماعة « فوافق أهل حي القبلة اما الشرق فقد كان رأيهم الانتظار الى حين عودة الشيخ أحمد الجابر من الرياض » .[٤] فتم الاتفاق على اعداد عريضة تطالب باقامة مجلس شورى ، وتقدم الى الشيخ احمد الجابر ، ولقد حرص الشيخ يوسف على توضيح الأمر للشيخ عبد الله السالم الذي كان يدير شئون البلد

لحين عودة الشيخ أحمد الجابر وأكد له ان المصلحة العامة تقتضي الموافقة على هذا الطلب ، ويقول الشيخ يوسف في هذا الصدد « اجتمعت مع عائلة الصباح ، وأرسلوا الى القائمين بالأمر وسألوهم عن سبب الاجتماع فتلونا عليهم ذلك ولم يظهروا شيئا يخالف فكرة الجماعة » .

ويقول الشيخ يوسف ايضا « ان الذين تحفظوا قلة احدهم جاهل بحقيقة المصلحة والآخر خائف يظن أن الجماعة يطلبون شيئا فريا ، وبعد هذا حصلت إجتماعات مع العائلة الحاكمة ورأيناهم ممنونين من هذا العمل »(٥) .

وعندما عاد الشيخ احمد الجابر قدموا له عريضة تتضمن ما يلي :

١ ـــ اصلاح بيت الصباح كي لا يجري بينهم خلاف في تعيين الحاكم .
٢ ـــ ان المرشحين لهذا الأمر احمد الجابر ـــ حمد المبارك ـــ عبد الله السالم .
٣ ـــ اذا اتفقت عائلة الصباح على تعيين واحد يقبلونه واذا فوضوا الأمر للجماعة اختاروا الأصلح .
٤ ـــ الحاكم المعين يكون رئيسا لمجلس شورى .
٥ ـــ ينتخب من آل الصباح والأهالي عدد معلوم لادارة البلد على أساس العدل والانصاف .

هذا ولقد وقع على العريضه عدد من التجار والوجهاء وغيرهم من المواطنين الكويتيين(٦) ، وعندما عرض الأمر على الشيخ أحمد الجابر وافق على تأسيس المجلس ، وهكذا ظهر أول مجلس شورى في الكويت بطلب من الأهالي ، وتم تشكيله بالتعيين ، وهو كما يقول عنه الشيخ يوسف «مجلس الشيوخ من الشيبان من أهل الثروة بالاختيار دون الانتخاب »(٧) ، وقد انيطت رئاسته لحمد الصقر أما نائب الرئيس فكان الشيخ يوسف .

ثم تم وضع ميثاق بين المجلس والحاكم تناول القضاء وموضوع التشاور وجاء فيه :

١ ـــ ان تكون جميع الأحكام بين الرعية في المعاملات والجنايات على حكم

الشرع الشريف .

٢ ـــ اذا ادعى المحكوم عليه ان الحكم مخالف للشرع تكتب قضية المدعى عليه وحكم القاضي فيها وترفع الى علماء الاسلام فيما اتفقوا عليه فهذا الحكم المتبع .

٣ ـــ اذا رضى الخصمان على أي شخص أن يصلح بينهما فالصلح خير لأنه من المسائل المقررة شرعا .

٤ ـــ المشاورة في الأمور الداخلية والخارجية التي لها علاقة بالبلد من جلب مصلحة أو دفع مضرة أو حسن نظام .

٥ ـــ كل من عنده رأي فيه صلاح ديني أو دنيوي يعرضه على الحاكم ويشاور فيه جماعته فان رأوه حسنا ينفذ(٨) .

كان تشكيل مجلس الشورى أول خطوة في طريق تنظيم اسلوب التشاور بين الحاكم والأهالي ، ولقد جاءت استجابة للتطورات التي مرت بها الكويت ورغبة الكويتيين في المشاركة في ادارة شئون بلدهم . ولكن هذه التجربة بالرغم من أهميتها الا انها لم تستمر طويلا بسبب الخلافات الشخصية ولم يكن يؤخذ برأي الأغلبية عند التصويت وقد أدت هذه الملابسات الى تباعد جلسات المجلس وبينما هو على هذا الحال وصلت رسالة بامضاء «الأمة» الى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت موجهة الى اعضاء مجلس الشورى فأرسلها الوكيل الى الشيخ أحمد الجابر الذي ارسلها بدوره الى اعضاء المجلس لقراءتها في الجلسة وكان مما جاء فيها «اننا نبرأ الى الله من هذا المجلس الذي جمع اعضاء لم يعرفوا التمره من الجمرة ولم ينتخبوا من قبل الأمة » .

لقد أثارت هذه الرسالة غضب الأعضاء وظنوا ان كاتبها هو عبد العزيز الرشيد عضو المجلس ، الا ان الشيخ يوسف كان يعرف اسلوب عبد العزيز الرشيد فأكد للأعضاء انه ليس كاتبها ، ولم يخبرهم أن كاتبها هو السيد هاشم الرفاعي فهو يعرف خطه واسلوبه ، فقد كان الشيخ يوسف يرى ان الكاتب صادقا فيما كتب ولذلك ليس من العدل اقامة الحد على من تكلم الصدق(٩)

فآثر عدم الافصاح عن اسمه لأن القيام بذلك تعد فتنة ، والشيخ يوسف وهو نائب الرئيس ينتقد المجلس والخلافات الشخصية التي كانت تدب بين اعضائه . والتي أدت في النهاية الى حله .

ويلخص عضو المجلس عبد العزيز الرشيد أسباب الحل فيقول :
« ان اعضاء المجلس لم يصلوا الى عضوية مجلس الشورى بواسطة الانتخاب الحر بحيث يصل من يصلح لتمثيل الشعب ولكنه جاء بالاختيار على أساس الوجاهة ، والثروة ، أما السبب الثاني فهو عدم ادراك الأعضاء لمسئولياتهم ولذلك راح الخلاف يدب بينهم لأسباب شخصية ، أما السبب الثالث فهو وصول الكتاب الذي ينتقد المجلس » .

وبالتالي فان حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر الذي استجاب وشكل المجلس لم يكن وراء حله ، ويؤكد ذلك عبد العزيز الرشيد الذي ينزه الشيخ أحمد الجابر عن مسئولية احباط المشروع(١٠) . على اية حال فقد تباعدت جلساته واخذ بعض الأعضاء يرسلون أبناءهم نيابة عنهم الى ان توقفت جلساته تدريجيا بعد مضي اقل من شهرين على تشكيله ومع انها تجربة قصيرة انتهت بالفشل الا انها تعتبر خطوة اساسية في طريق ارساء نظام الحكم النيابي في الكويت فيما بعد. وهي بلا شك كانت ذات اثر سلبي على عدد من الكويتيين الذين انتابهم الشك في امكانية نجاح مثل هذه المحاولات في المستقبل وسنلاحظ ان الشيخ يوسف قد أثر عليه فشل مجلس الشورى في اعماله وعدم استمراره .

المجلس التشريعي الأول يوليو ـــ ديسمبر ١٩٣٨:

أيا كانت حدود هذه التجربة ، فانها لم تؤثر على المحاولات الأهلية الجماعية الهادفة الى التطوير والتجديد في شتى المجالات في حدود ما تسمح به الامكانات المادية ، فتم تأسيس بلدية الكويت في عام ١٩٣٠ باقتراح من الشيخ يوسف بن عيسى ، كما سنفصل ، فيما بعد ، وتم تشكيل المجلس البلدي بالانتخاب وذلك بموجب المادة الثالثة من قانون البلدية والتي تنص على الآتي « الأعضاء ينتخبون من قبل وجهاء البلد ، وكل من له علم باختيار الرجال » .

فلم يكن في الكويت دائرة تميز الكويتي من غيره ولذلك كان يتم تأليف لجنة محايدة تتولى عملية الاشراف على الانتخابات وكان الشيخ يوسف أحد اعضائها . كما تم انشاء مجلس المعارف في ١٩٣٦ بالانتخاب أيضا .

ومما لا شك فيه أن انشاء البلدية قد اتاح الفرصة للمشاركة الأهلية في ادارة الشئون المحلية كما ان البلدية قدمت الخدمات المتعددة للمجتمع الكويتي بما يتناسب وامكانياتها المادية والبشرية .(١١) وتعد نشأتها أحد أمثلة التفاعل والتجاوب بين الحاكم والأهالي ، في مرحلة شهدت خلالها الكويت وعيا وتفتحا فكريا وظهر التجاوب مع أحداث الوطن العربي وبالذات أحداث فلسطين ، والحركات الوطنية ضد الاستعمار، كما تزايد الاقبال على قراءة الصحف والمجلات التي كانت تصل الى الكويت متأخرة مثل المقتطف والهلال والاهرام .

وبلغ حد التعاطف مع أحداث فلسطين العربية ان قام عدد من الأهالي في عام ١٩٣٦ بتكوين لجنة لجمع التبرعات لصالح فلسطين وكان الشيخ يوسف احد اعضاء تلك اللجنة ، ولم يكن الحماس الوطني القومي يقتصر على القضايا القومية فانتشار الحماس بين الشباب دفعهم الى السعي من أجل تحقيق الاصلاحات العامة وفي مختلف المرافق التي كانت بحاجة الى اصلاحات جذرية ، وتزعم الحركة الاصلاحية مجموعة من التجار والوجهاء ، والشباب ، ولقد ازداد نشاطها في عام ١٩٣٧ وسعت الى نشر مطالبها ، وشكلت جمعية سرية أطلق عليها اسم «الكتلة الوطنية» كانت تسعى الى جانب تحقيق الاصلاحات العامة الى اقامة مجلس تشريعي بالانتخاب وبدأت تنشط في أعمالها على نحو سريع اثار مخاوف رجال حاشية الحاكم ولذلك فقد قوبلت بالشدة وبدأت مرحلة من الصراع بين المطالبين بالاصلاح والمنتفعين من الأوضاع السائدة في تلك الفترة . والحقيقة ان الخوض في تفاصيل الحركة الاصلاحية في الكويت ليس مجاله هذه الدراسة .(١٢) .

على اي حال فان هذه الحركة سرعان ما جذبت العديد من الشباب الكويتي الوطني المطالب بالاصلاح في الوقت نفسه كانت العناصر المعارضة لمثل هذه

الحركة ومطالبها تسعى الى السيطرة على مجريات الأمور ، ولذلك فقد تدخلت في انتخابات المجلس البلدي لسنة ١٩٣٧ وبالتحديد في عملية انتخاب مدير البلدية فعمدت الى اخراج اثنين من اعضاء المجلس واحلال اخرين محلهما لضمان فوز مرشحهم « وكان الشيخ يوسف احد اعضاء المجلس البلدي فاعتذر عن المشاركة في انتخاب مدير البلدية نتيجة لهذه الممارسات وأرسل ورقة الى رئيسها جاء فيها «انا لا احضر هذه الجلسة لكونها غير شريفة »(١٣) .

في ذلك الوقت ونتيجة لبعض الملابسات تم حل مجلس المعارف المنتخب في سنة ١٩٣٧ ، وتضامنا مع أعضائه استقال خمسة من أعضاء مجلس البلدية(١٤) ، فكان رد فعل السلطة تجاه هذه التطورات عنيفا ، فعند حلول انتخابات البلدية اصدرت أمراً يقضي بمنع الناخبين من انتخاب الأعضاء الذين استقالوا من عضويته ، وقد ادى هذا القيد على حرية الناخبين الى مضاعفة نشاط المطالبين بالاصلاحات وبالحكم النيابي ، واستمروا في نشر مطالبهم في الصحف العراقية ، بل قاموا بتوزيع بعض المناشير التي كانت تطبع في البصرة وتتناول مطالبهم وأهداف حركتهم ، ونتيجة لهذه التطورات خشيت السلطات البريطانية أن تأخذ الأمور مجرى يضر بمصالحها لذلك نصحت الشيخ أحمد الجابر اشراك الشعب في ادارة شئون البلد وادخال الاصلاحات فيها(١٥) .

كما حرصت ايضا على توصيل رأيها الى اعضاء الكتلة الوطنية . وكان ذلك بواسطة سكرتير الوكالة السياسية البريطانية (عبد الله جاسم بودي) وبعد أن وصلهم الخبر وجدوا انها فرصة سانحة للتقدم لحاكم الكويت بطلب تشكيل مجلس تشريعي ، وبناء على ذلك فان الشيخ يوسف يرى ان الموقف البريطاني قد هيأ الفرصة لتأسيس المجلس التشريعي في الكويت خاصة ان سكرتير الوكالة قام بابلاغ الشيخ يوسف بالنصيحة البريطانية واطلعه على الكتاب الذي ارسله الوكيل الى حاكم الكويت ، ولكن الشيخ يوسف لا يجزم أن كانت السلطات البريطانية هي التي طلبت من سكرتير الوكالة ابلاغه بموقفها ام ان السكرتير قد جاء اليه بمحض ارادته(١٦) ، حين علم بإعتذار الشيخ يوسف عن المشاركة مع الوفد الذي

سيقابل الشيخ أحمد الجابر ، ولكن كما حرص الوكيل السياسي على توضيح موقف السلطات البريطانية لأعضاء الكتلة كذلك فانه اهتم بتوضيح الأمر لغيرهم ممن كان لهم تأثير على مجريات الأمور أمثال الشيخ يوسف .

اعتذار الشيخ يوسف عن المشاركة مع الوفد :

ادرك اعضاء الكتلة الوطنية أهمية التقدم بمطلبهم الى حاكم الكويت وضرورة عدم التأخر في اتخاذ هذه الخطوة ، وطلبوا من الشيخ يوسف مساندتهم والمشاركة مع الوفد الذي سيقوم بمقابلة الحاكم ، ولكنه اعتذر بقوله « بما انني اعتقد عدم اهليتنا للمجلس بحسب ما رأيت من المجلس السابق فلا اطلب شيئا اعتقد عدم ثبوته .[١٧] ، ونظرا لأهمية مشاركة الشيخ يوسف وما يحظى به من مكانة لدى السلطة والأهالي فقد استمر أعضاء الكتلة في محاولة اقناعه كما سعى لذلك أحد اعضاء الوفد (محمد الغانم) الا انه لم ينجح فقد أصر الشيخ يوسف على موقفه مؤكدا مساندته لهم قائلا : انا لا أذهب معكم ولكني استصوب رأيكم وأدعو لكم بالنجاح »[١٨]

لم يكن موقف الشيخ يوسف هذا تراجعا عن رأيه في ضرورة اقامة الحكم النيابي أو الشورى ولكن السبب هو فشل تجربة مجلس الشورى عام ١٩٢١ وهو الذي سعى من أجل اقامته وتبنى هذا الطلب كما اسلفنا الاشارة اليه ولا يمكن اعطاء موقفه تفسيرات غير تلك التي ذكرها بنفسه ولم يكن يرغب في أن يرتبط اسمه مرة أخرى بتجربه إعتقد أنها لن تنجح .

قدم الوفد المكون من عبد الله حمد الصقر ومحمد الثنيان الغانم وسليمان العدساني على حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر طلب تشكيل مجلس تشريعي فوافق في اليوم التالي بعد أن ادرك أنه لا جدوى من رفض هذا الطلب .

ونظرا لأهمية موقف الشيخ يوسف المساند لهذه المطالب فقد حرص أعضاء الكتلة الوطنية على ابلاغه بموقف الشيخ أحمد الجابر ولعل هذا الحرص يعكس تفهم الكتلة الوطنية لموقف الشيخ يوسف في عدم مشاركته مع الوفد خاصة وانه أيد منذ البداية هذه الخطوة وهو ما يفسر مشاركته في الانتخابات وكان رأيه يتفق مع رأي ولي العهد الشيخ عبد الله السالم بضرورة التعجيل باجراء الانتخابات قبل أن تظهر بوادر تحزبيه وبالفعل بدأت أولى الخطوات ، وتم تشكيل لجنة الاشراف على الانتخابات وكان الشيخ يوسف عضوا فيها وهي لجنة نزيهة لم يكن أحد يشك في حيادها(١٩) .

وبدأ الترشيح لعضوية المجلس ومن ثم اجريت الانتخابات وفاز بها الشيخ يوسف وتم اختياره نائبا للرئيس الشيخ عبد الله السالم .

القانون الأساسي :

بعد انتهاء الانتخابات واعلان النتيجة بدأ المجلس جلساته وأعماله ، فأعد مسودة القانون الأساسي وتم عرضه على الشيخ أحمد الجابر الذي كان رأيه في بادىء الامر الاخذ به بالتدريج ولكنه وافق عليه بسبب اصرار أعضاء المجلس .

وقد تضمن القانون خمس مواد ، حرص الشيخ يوسف على ان تتضمن المادة الثانية تفسيرات تحول دون سوء الفهم والغموض من كل الأطراف سواء السلطة الحاكمة أو اعضاء المجلس(٢٠) .

ثم بدأ المجلس باتخاذ العديد من القرارات الهامة وأجرى الكثير من الاصلاحات الملموسة في شتى المجالات في التعليم والقضاء والصحة والأمن والجمارك وغيرها ، وزاول عمله بحماس ونشاط ، ولكن سرعان ما بدأت المشاكل تحيط به وتعرقل أعماله .

موقف الشيخ يوسف من المجلس :

بدأ الشيخ يوسف نشاطه في المجلس التشريعي من منطلق تحقيق الاصلاحات العامة مع المحافظة على حسن العلاقات بين المجلس وحاكم الكويت ،

والبعد عن كل ما يؤدي الى اضطراب تلك العلاقة ، لأن ذلك يؤدي الى حل المجلس التشريعي وبالتالي تتكرر تجربة عام ١٩٢١ تلك الخاصة بمجلس الشورى . ولكن كان المجلس يضم عددا من الأعضاء بينهم الشباب الوطني المتحمس المندفع أحيانا وكان هناك اتجاه بين اعضاء المجلس لتوسيع سلطاته وصلاحياته ومثل هذا الاتجاه كان لابد وان يصطدم بالسلطة الحاكمة بل ان وجود المجلس التشريعي وغيره من المجالس مثل البلدية والمعارف كان سبب ضيق وقلق بعض رجال الحاشية الذين كانوا يرون في وجود المجالس المنتخبة تقييدا لسلطاتهم ، اذن فقد احاطت بالمجلس التشريعي ومنذ البداية مخاطر لا يستهان بها وفي مقدمتها الموقف البريطاني الحذر من وجود هذا المجلس خاصة بعد صدور قانونه الأساسي بمادته الثالثة التي اعطته سلطة الرقابة على عقد الاتفاقيات ، ومن جهة أخرى برزت بعض مظاهر الطائفية ، ولمواجهة هذه الظروف كان يجب ان يسود التفاهم العلاقة — بقدر المستطاع — بين حاكم الكويت واعضاء المجلس ، ولكن كانت المشكلة تكمن في العلاقة مع سكرتارية الحاكم فقد أصر أعضاء المجلس على ابعاد سكرتيري الشيخ وهما ملا صالح الذي كان يشغل هذه الوظيفة منذ أربعين عاما ، وعزت جعفر الذي قدم الى الكويت عام ١٩٣٥ ، وكان المجلس يرى انهما يستغلان وظائفهما لتحقيق مصالح شخصية وانهما يسعيان الى اضطراب العلاقة بين الشيخ الحاكم والمجلس وان عزت جعفر كان مكروها من الناس بسبب مؤامراته ضد المجلس وبالتالي فان الاصلاح يتطلب عزلهما وابعادهما عن الكويت ولكن لم يكن من السهل الحصول على موافقة الشيخ أحمد الجابر على هذا الطلب فقد اعتبره من شئونه الخاصة مما أدى الى توتر العلاقة مع المجلس الذي أصر على موقفه ، ونظرا لوصول محاولات تهدئة الأمور الى طريق مسدود فقد وافق الشيخ أحمد الجابر على النصيحة البريطانية ومنح السكرتيرين اجازة طويلة خارج البلاد . الا ان هذه الحادثة كان لها آثارها السلبية على العلاقة بين الحاكم والمجلس واعتبر الأخير انه يسعى الى توسيع سلطاته وصلاحياته فبدأت شقة الخلاف تتسع شيئا فشيئا .

وكان الشيخ يوسف يرى عدم تجاهل سلطة الحاكم وعدم الدخول معه في

الحاكم يؤدي الى حل المجلس وبالتالي فان التفاهم معه أمر لابد منه . ونبه عدة مرات بصفته نائب الرئيس ومنذ بدء جلساته الأولى الى ان المطلوب تحقيق الاصلاحات العامة ، كما عبر أمام الأعضاء عن مخاوفه من عاقبة انتهاج المجلس مسلك توسيع شقة الخلاف مع الحاكم ومن مغبة التسرع وكان يقول «ان المجلس لا يستقيم (يستمر) على هذه الطريقة وعليكم السعي لتظهر أعمال المجلس ودعوا بكرا وخالدا »(٢١) اي ان المجلس بامكانه السير في اصلاحاته مع وجود سكرتارية الشيخ لأنه ــ المجلس ــ قوة لها صلاحياتها وسلطاتها طالما ان التدخل بأمر السكرتارية يؤدي الى اضطراب العلاقة مع الحاكم الذي يملك سلطة اتخاذ قرار حل المجلس التشريعي .

ولكن المجلس كان يرى أن عزل السكرتارية جزء من الاصلاحات العامة ولاشك ان منطلقه هو الحرص والخوف على دور وانجازات المجلس التشريعي .

وكان الشيخ يوسف يعتقد « ان المجلس بمواقفه تلك قد تهاون في اشياء كثيرة ولم يلتفت الى العاقبة مغترا بقوته مما يعجل في حله »(٢٢) وأن تحقيق الاصلاحات العامة لا يتم الا من خلال التفاهم وحسن العلاقة بين حاكم الكويت والمجلس التشريعي ولذلك نجده يحرص على نقل وجهة نظر فؤاد حمزة القائم بأعمال وزير الخارجية السعودي كما قالها للشيخ يوسف الذي طلب منه رأيه حين قال « نصيحتي للمجلس هي ترضية حاكم الكويت بكل حال لأن الضرر لا يأتي الا من بابه » ولكن كما يقول الشيخ يوسف « لم يلتفت المجلس لكل هذه النصائح ليقضي الله امرا كان مفعولا »(٢٣) .

فقد سيطر الحماس على بعض اعضاء المجلس من الشباب وكما يقول احدهم « عبد اللطيف ثنيان الغانم » أن أحمد الجابر اعطانا كل شيء ولكننا لم نحسن التصرف » . لقد كنا نحن الشباب خالد العدساني وعبد الله الصقر وأنا نفرض آراءنا وأفكارنا على المجلس الذي انجرف في تيارنا المتطرف »(٢٤) ومما لا شك فيه أن الشعور الوطني الصادق كان وراء هذا الحماس بالاضافة الى التأثر بالدعاية العراقية ضد الأوضاع في الكويت .



المجلس الذي كان في الستين من عمره ، وهو رجل دين مصلح معتدل ولم يكن رجل سياسة كان متعاطفا مع الحركات الوطنية القومية دون ان تكون له اتصالات باحزاب سياسية ولم يكن يتأثر بالدعاية الخارجية ضد الادارة في الكويت ولم يكن ـــ يحبذ اضطراب العلاقة بين المجلس والحاكم كما أشرنا من قبل ولقد وقف مع الأعضاء في اتخاذ القرارات الاصلاحية العامة وقام بنفسه بدور فعال في تنفيذ تلك الاصلاحات مثال ذلك موقفه من قرار المجلس الغاء الاحتكار الخاص بشركة النقل والتنزيل فقد أعد مضبطه حملها ابنه عيسى الى التجار للتوقيع عليها ثم توجه بها بنفسه الى الشيخ أحمد الجابر واقنعه بالموافقة على حل الشركة . خاصة وان ملابسات تكوين الشركة كان موضع سخط الأهالي(٢٥) .

وكان منطلق الشيخ يوسف الشريعة الاسلامية ، وكمثال على ذلك موقفه من الاتفاقية الكويتية السعودية المقترحة لتنظيم العلاقة بين الكويت والسعودية التي عرضت على المجلس في اكتوبر ١٩٣٨ فلاحظ الأعضاء أن مقدمتها لم تشر الى اسم حكومة الكويت أو أميرها وجاء فيها حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة المملكة المتحدة ـــ « بريطانيا العظمى ـــ وشمال ايرلندا » عاملان بإسميهما وبالنيابة عن شيخ الكويت هذا ما جاء في المقدمة ، فكان رأي الأعضاء أن يكون التصدير والتذييل باسم أمير الكويت ، أما الشيخ يوسف فكان رأيه أنه يجوز شرعا للوكيل تسجيل العقد وتوقيعه باسمه بدلا من الأصيل وأن الأمير وكل الانجليز بمفاوضة ابن سعود نيابة عنه وانه لا حذر مطلقا من ذلك لأنه يجوز شرعا عزل الوكيل عن الوكالة وقتما شاء الأصيل « أما باقي الأعضاء فقد كانوا يرون أن العقود السياسية تختلف عن العقود الشرعية ، « بل كانوا يطالبون بانهاء الوكالة البريطانية(٢٦) طالما أن هناك إمكانية لتحقيق ذلك ، اما الشيخ يوسف فقد استند على واقع العلاقات الكويتية البريطانية التي تحكمها اتفاقية الحماية التي عقدها الشيخ مبارك الصباح في يناير ١٨٩٩ مع الحكومة البريطانية . والحقيقة أنه من الصعب التعامل مع قضية العلاقات الكويتية البريطانية على النحو الذي يتم فيه التعامل مع العقود الشرعية ، فالقضية تتعلق بعلاقات سياسية مع دولة

استعماريه .

لم يتردد الشيخ يوسف عن الموافقة على الاصلاحات الجذرية في البلاد ولم يكن متطرفا أو مندفعا بل كانت تحكمه تجاربه الا ان حماس بعض الأعضاء دفع احدهم الى اعتبار الشيخ يوسف حجر عثرة في طريق المجلس قائلا « فكلما قرنا أمرا نرى فيه الاصلاح وقفت أمامنا مثبطا لعزائمنا » .(٢٧)

ولكن لم يكن الشيخ يوسف يثبط العزائم بل كان يخشى على المجلس من التسرع ومن نتيجة الخلافات مع الحاكم . الا ان بعض الأعضاء كانوا يشعرون بالقلق من تأثير مواقفه وآراءه على أعضاء المجلس .

لقد كان لهذا الرأي انعكاسه على العلاقة بين الطرفين وتدهور الموقف حين وصل خطاب قال عنه الأعضاء أنه من خارج المجلس ولكن الشيخ يوسف يشك في ذلك ويعلق « يزعم المجلس انه حذف اليه من الخارج »(٢٨) وقد تمت قراءة الخطاب في المجلس ومضمونه حث الأعضاء على السير بلا تأنّ وينهاهم عن سماع قول المثبط لعزائمهم « ويقول الشيخ يوسف « ان ذلك معناه » اياك عني فاسمعي يا جاره » ولما لم يعلق أو يعترض احد على هذا الخطاب أيقن الشيخ يوسف أنه لا جدوى من استمراره في عضوية المجلس ومن الصعب التفاهم معه بعد اتساع شقة الخلاف فاستقال منه ، ولكن بناء على طلب من المجلس وافق على حضور الجلسات التي تبحث في شئون التعليم والقضاء ،(٢٩) واستمر الشيخ يوسف يؤيد وجود الجلس التشريعي فهو يرى « أنه هو الحياة للبلد أما الأعضاء فيتبدلون بانقضاء المدة ويأتي من هو أصلح للادارة . »(٣٠)

تطورت الأحداث بسرعة وتعددت أسباب الخلاف بين حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر والمجلس من ذلك مثلا ان المجلس كان يصر على ان يكون مستودع الأسلحة في قصر نايف تحت اشراف احد اعضاء المجلس (صالح العثمان الراشد) الذي اصبح المسئول عن قوات الشرطة وتوزيع الأسلحة . ولكن الشيخ أحمد الجابر رفض هذا الطلب ، وأمام اصراره اضطر المجلس الى الموافقة على بقاء الوضع على ما هو عليه اي يبقى مستودع الأسلحة تحت مسئولية الحاكم .

ومن جانب اخر فقد نشطت المعارضة التي كانت تشعر ان وجود المجلس عقبة أمام تحقيق مصالحها الخاصة ، فكانت تسعى لاستغلال الفرص للقضاء عليه ، خاصة مع تدهور علاقته بالحاكم حين طالب المجلس بنفي احد التجار المعارضين (خالد الزيد) من البلاد لمدة شهرين وذلك في أعقاب مشادة حدثت بينه وبين المسئول عن الأمن (صالح العثمان) الذي كان يقوم بتنفيذ أمر متعلق بالتعداد فرفض خالد الزيد اعطاءه المعلومات المطلوبة خاصة فيما يتعلق بعدد النساء فاضطربت الأحوال عندئذ طلب المعارضون للمجلس من الحاكم التدخل لمنع سفك الدماء وطالبوا بحل المجلس ، فكانت فرصة للسلطة الحاكمة لحله ، خاصة عندما رفض الأعضاء مقابلة الحاكم وتحصنوا في قصر نايف حيث مخزن الأسلحة ، واستعدوا للدفاع عن موقفهم ، فأعلنت السلطة الحاكمة حالة الطوارئ وكاد الأمر يتدهور على نحو يهدد بسفك الدماء .

جهود الشيخ يوسف لحل الازمة :

هنا يبرز الدور الفعال الذي قام به الشيخ يوسف ، فقد توجه اليه في منزله الشيخ عبد الله الجابر واخبره ان الشيخ عبد الله السالم ينتظره في السيارة خارج المنزل فذهب اليه الشيخ يوسف وعلم منه بتطورات الموقف وطلب منه التدخل لحل الأزمة ، فتوجه الشيخ يوسف الى ديوانية الصقر حيث كان بعض الأعضاء يتباحثون في الموقف ، فحاول التفاهم معهم على نحو يمنع الاصطدام مع السلطة الحاكمة الا ان احد الأعضاء أصر أولا على الاستجابة لطلبهم بابعاد خالد الزيد من الكويت ولم يتحفظ الاخرون ولذلك فان محاولات الشيخ يوسف في البداية لم تسفر عن أي نجاح ، فتوجه الى منزله متألما حزينا لما يحدث وهو يفكر في حل وسط للازمة وفي نفس اليوم حضر اليه الشيخ عبد الله الجابر الصباح طالبا منه التدخل مرة أخرى لمنع تدهور الوضع ، خاصة وأن الشيخ علي الخليفة الصباح كان في ذلك الوقت يتجه بقواته نحو قصر نايف ، لمواجهة اعضاء المجلس هناك ونظرا لما كان سيؤدي وصوله إلى القصر من اصطدام مسلح فقد طلب منه الشيخ يوسف دقائق فقط لعله يصل إلى حل للأزمة ، فوافق ، وتوجه الشيخ يوسف إلى الشيخ احمد الجابر في قصر دسمان وهناك لم يتمالك نفسه ولم يتمكن من السيطرة

على دموعه وعندما شاهده الشيخ أحمد الجابر سأله ما الذي يبكيك ؟

فأجابه حالة الكويت فسأله الشيخ أحمد الجابر هل عندك حل ؟ فأجابه نعم ، واقترح عليه أن يختار الشيخ أحمد الجابر أربعة اشخاص يمثلونه في حين يختار المجلس أربعة أخرين لتمثيلهم ويتم ايضا اختيار اربعة محكمين محايدين ، فوافق الشيخ أحمد الجابر وكذلك اعضاء المجلس وتم تشكيل لجنة التحكيم برئاسة الشيخ يوسف وعضوية كل من أحمد الحميضي ، حمد المرزوق البدر ــ الشيخ أحمد بن خميس(٣١) . وتم الاتفاق على أن ينزل الطرفان في حالة الاختلاف عند رأي لجنة التحكيم ، فحاول الشيخ يوسف اقناع الأعضاء بتسليم السلاح ، وبالفعل بعد التشاور وافقوا على تسليمه نزولا عند رأي اللجنة .(٣٢)

ويقول الشيخ يوسف انه اثناء المفاوضات لاحظ ان مطالب اعضاء المجلس كثيرة ولا يمكن حلها في ساعة أو ساعتين ، فأبلغ رئيس اللجنة الممثلة لحاكم الكويت أن يرخص قوته أي يأمرها بالذهاب على أن يفعل أعضاء المجلس مثل ذلك ، وبالفعل تمت موافقة الطرفين على هذا الاقتراح .

وسلمت مفاتيح مخزن الأسلحة إلى رئيس لجنة التحكيم الشيخ يوسف الذي أمضى هو وأعضاء اللجنة ليلتهم في قصر نايف .

واتفقت كل الأطراف على اجراء مباحثات في اليوم التالي ، ولكن تطورت الأحداث بسرعة أدت إلى حل المجلس بأمر حاكم الكويت في ٢١ ديسمبر ١٩٣٨ على أن يتم اجراء انتخابات جديدة .

المجلس التشريعي الثاني :

تمت الانتخابات الجديدة في نفس الشهر اي ديسمبر ١٩٣٨ وشارك فيها اربعمائة ناخب ، كما اتفق على ان يكون عدد الأعضاء عشرين عضوا ولقد فاز في هذه الانتخابات كل اعضاء المجلس التشريعي الأول عدا يوسف المرزوق وحصل الشيخ يوسف بن عيسى على اكثرية الأصوات وكان الأول فقد حصل على

(٣٣٣) صوتا[٣٣] ، وهذا الفوز يعد مؤشرا على وجود غالبية تؤيد مواقفه السابقة .

القانون الأساسي (الدستور) :

تم اعداد الدستور وشكلت لجنة لمناقشته ودراسته وكان الشيخ يوسف احد اعضائها ، وقد أخذت مواده من الدستور العراقي مع ادخال بعض التعديلات عليه بما يتناسب مع أوضاع الكويت حسب ما يراه المجلس التشريعي .

رأى الشيخ يوسف في مواد القانون :

لقد كان للشيخ يوسف تحفظات على بعض المواد يمكن ايجازها فيما يلي :

المادة الأولى:

وقد جاء فيها «الكويت ذات سياده مستقلة اراضيها لا تتجزأ وشكل حكمها نيابي» . وجاء اعتراض الشيخ يوسف مستندا الى ان هذه المادة لا تعبر عن الواقع لأن الكويت تحت الحماية البريطانية ، بينما أصر الأعضاء على بقاء هذه المادة كما هي . فهم يرون ان الاتفاقية تخول لبريطانيا بعض الامتيازات السياسية فقط وان ذلك لا يتعارض مع هذه المادة كما أن الحماية لها شروط في القانون الدولي لا تنطبق على الكويت فوافق الشيخ يوسف بتحفظ وقال انه اذا ما ظهر اعتراض عليها فهو يقف مع المعارضين[٣٤] .

ومما لا شك فيه أن وضع هذه المادة والاصرار على بقائها يشير الى طموح الاعضاء وتطلعهم الى التخلص من اتفاقية الحماية البريطانية المعقوده في ٢٣ يناير ١٨٩٩ ، ولا يعني اعتراض الشيخ يوسف عليها رغبته في استمرار تلك الاتفاقية والحماية البريطانية ولكنه اراد التعبير عن الواقع والوضع الراهن الذي يتعارض مع هذه المادة ، لانه بموجب اتفاقية الحماية فإن الشؤون الخارجية للكويت تقع تحت مسئولية بريطانيا وبالتالي فأن الكويت في ذلك الوقت مثل باقي امارات الخليج العربي ذات سيادة ناقصة . وكان يعلم ان السلطات البريطانية لن تقبل مثل هذه المادة وقد يكون ذلك عقبة في طريق اقرار الدستور مما سيضطر حينئذ المجلس الى مراجعتها .

اعترض الشيخ يوسف على المادة الثامنه عشرة من الباب الثاني ، والتي جاءت تحت عنوان « الحكم » ونصت على ما يلي : « سيادة الحكم للامة وهي وديعة الشعب لذرية المغفور له الشيخ مبارك الصباح » وكان اعتراضه ان هذه المادة لا تعبر عن واقع الكويت ، ولذلك اقترح تعديلها فاصبحت على النحو التالي « سيادة الحكم لذريه المغفور له الشيخ مبارك الصباح » ، وكانت حجة المجلس ان هذه المادة بوضعها الأصلي لا تنافي الأصول المتبعة في كافة دساتير العالم ، وان الكويتيين منذ نشأة الكويت اتفقوا على جعل سيادة الحكم فيها لآل الصباح وانها تعبر عن الواقع(٣٥) . ولا نستبعد ان يكون الشيخ يوسف ايضا اراد الحيلولة دون سوء الفهم والاصطدام مع السلطة الحاكمة اذا بقيت المادة كما هي .

كما ان الشيخ يوسف واحد الأعضاء « نصف النصف » اقترحا اضافة مادة تمنح حاكم الكويت حق حل المجلس بشرط اجراء انتخابات جديدة ، وقد وافق الأعضاء على هذه المادة ، وجاءت برقم ٢٤ في الباب الثاني على النحو التالي « للحاكم حل المجلس التشريعي متى نشبت بأسبابه فتنه في البلاد استعصى حلها بالطرق السليمة على ان تشتمل الاراده القاضية بالحل الأمر باجراء الانتخابات للمجلس الجديد خلال اسبوع واحد من تاريخها(٣٦) » .

وبعد ان عرضت مسودة الدستور على المجلس تمت مناقشتها مناقشة بسيطة اقرها المجلس وسلمت الى الشيخ يوسف ليقوم بدوره بتسليمها الى حاكم الكويت الشيخ احمد الجابر . ومنذ يوم الاثنين ١٢ ذى القعده ١٣٥٧ وهو اليوم الذي وافق فيه المجلس على مسوده الدستور الذي حمله الشيخ يوسف الى الحاكم ظل الشيخ يوسف يتردد على الحاكم ممثلاً حلقة الوصل بين حاكم الكويت واعضاء المجلس التشريعي ، فكان يقوم بتوضيح وجهة نظر كل طرف للاخر ، بشأن الدستور ، وبعد ثلاثة أيام اوضح الشيخ احمد الجابر للشيخ يوسف رأيه بأن « الدستور المقترح من المجلس التشريعي ، طويل اكثر من اللازم » وان له بعض الملاحظات حوله وبالتالي فهو لم يبت فيه بعد ، فاستمر الشيخ يوسف في التردد عليه بعد ذلك للاستفسار عن مصير الدستور ، فكان قراره انه يريد الاطلاع على دستور « شرق الأردن » على اعتبار انه اكثر ملاءمة للكويت من الدستور

العراقي ، ويبدو ان الشيخ يوسف كان يرى انه من اجل الوصول الى حل بشأن الدستور لابد من الصبر والانتظار، ولكن هذا الموقف ازعج بعض الأعضاء الذين كانوا يعتقدون انه يجب الاصرار على قبول الدستور الذي وافق عليه المجلس التشريعي ولا بديل عنه .

على أي حال فقد استمرت محاولات الشيخ يوسف من أجل الوصول إلى نتيجة من حاكم الكويت الذي أخبره أنه أعد دستورا آخر سيعرضه على المجلس ، فأكد له الشيخ يوسف أهمية بقاء المجلس واجراء الاصلاحات ، وأكد على اهتمام الأهالي بموضوع مالية الكويت وضرورة انفاقها على الوجه المطلوب والاهتمام بالتعليم وصلاح الاحكام وأن يكون الحكم دستوريا .

وفي نفس الوقت كان الشيخ يوسف قد أوضح للمجلس انه من أجل المحافظة على حياة المجلس التشريعي لابد من الانتظار والاطلاع على الدستور المقترح والا فان الخسارة ستصيب الحياة النيابية وعندما كان يطرح هذا الرأي على الاعضاء لم يكن قد اطلع بعد على الدستور المقترح من حاكم الكويت والذي يجرد المجلس التشريعي من سلطاته وصلاحياته ويحوله الى مجلس استشاري ولكن لا مفر من الانتظار خشية فقدان أهم الانجازات التي حققتها الحركة الاصلاحية وهي المجلس التشريعي ، ولا نعتقد انه كان يريد أو يشجع تجريد المجلس من سلطاته التي كفلتها له الوثيقة السابقة أو القانون الاساسي الذي وقع عليه الشيخ أحمد الجابر في يوليه ١٩٣٨ ، وقد أكد الشيخ يوسف موقفه عندما عرض الدستور المقدم من الحاكم على المجلس بضرورة مناقشته ، كذلك كان رأي رئيس المجلس الشيخ عبد الله السالم هو مناقشة الدستور وابداء الملاحظات عليه وارسالها الى الحاكم(٣٧) ، وهناك ايضا من الأعضاء من كان يؤيد التروي في مسألة الاصرار على الدستور الذي قدمه المجلس(٣٨) ، ولكن رفض باقي الأعضاء مجرد المناقشة وأرسلوا رسالة توضح اصرارهم على رفض اي دستور عدا الدستور الذي اعده المجلس(٣٩) .

وهكذا أدى رفض الأعضاء للدستور المقترح إلى مزيد من التوتر في العلاقة مع الحاكم ووصلت المحاولات الى طريق مسدود ، بالاضافة الى ازدياد الدعاية العراقية ضد الحكم في الكويت ، عندئذ تجمعت العوامل التي هيأت الفرصة للشيخ أحمد الجابر لاصدار امر حل المجلس التشريعي الثاني ، ولقد اطمأنت وارتاحت السلطات البريطانية من هذا الوضع المضطرب الذي يجعلها تتخلص من مجلس بدأ يسعى الى التدخل في سلطاتها وامتيازاتها في الكويت واعتبرته متطرفاً وكانت تفضل ان يحل محله مجلس يتم تشكيله بالتعيين(٤٠) ، وبالفعل سرعان ما أعلن حاكم الكويت حل المجلس مساء ٧ مارس ١٩٣٩ . وأمر باحضار بعض الأعضاء لمقابلته فتردد أعضاء لجنة التحكيم خوفا من النتائج ، إلا أن الشيخ يوسف تعهد أمام الحاكم بضمان سلامتهم ولكن نتيجة لبعض الملابسات وفي العاشر من مارس القى القبض على بعض الأعضاء(٤١) وسجنوا كما فر بعضهم الى العراق .

ومن هناك بعث سكرتير المجلس وهو خالد سليمان العدساني وكان من الشباب الوطني المتحمس الذي لم تكن تعجبه مواقف الشيخ يوسف بعث رسالة الى المقيم السياسي يطلب منه التدخل لاطلاق سراح المسجونين ، وشرح موقف زملائه من العلاقة مع السلطات البريطانية وقد جاء فيها : «ان هؤلاء الأحرار المسجونين وهم زملائي الذين اعرفهم حق المعرفة من أحسن الناس ظنا بالحكومة الانجليزية واكثرهم ايمانا بفائدة التعاون الانجليزي العربي الصحيح ليس في قضية الكويت وحدها بل في قضايا عموم العرب ، فأنا وهم مؤمنون كل الايمان ان العرب لن يأمنوا على مستقبلهم مالم يركزوا صداقتهم مع الحكومة الانجليزية على اساس التعاون والثقة المطلقة ، ولست اقول هذا اليوم لمجرد الدعوة بل هو رأيي الذي اومن به واخواني منذ زمن بعيد » ، ثم اشار في الرسالة الى ان « سبب كل المشكلة هم حاشية الشيخ من الفرس »(٤٢) ، ومن الجائز ان تكون الظروف التي ارسلت خلالها الرسالة هي التي تقف وراء هذه التأكيدات بخصوص موقفه من بريطانيا .

مما لا شك فيه أن الكويت خسرت الكثير بحل المجلس التشريعي ، وما كان يخشى من وقوعه الشيخ يوسف ونبه اليه قد حدث ، فالتيار المتطرف في المجلس

تغلب وادى الامر الى حل المجلس التشريعي نتيجة لاضطراب علاقته بالحاكم ، وكما يقول خالد العدساني « ان له ولعبد اللطيف الثنيان وعبد الله الصقر على الدوام الغلبة والسيطرة في توجيه الأفكار العامة مع التأثير المحسوس على آراء اصدقائنا من اعضاء المجلس وبالتالي على مقرراتهم الجوهرية »(٤٣) . ولكن لم تكن لهؤلاء السيطرة على مواقف الشيخ يوسف .

ومما لاشك فيه أن الأمر كان يحتاج الى التريث قليلا والسعي من اجل الوصول الى حل وسط مع السلطة الحاكمة من أجل المحافظة على الحياة النيابية .

ولقد كان الشيخ يوسف بحكم مواقفه المعتدلة من ابرز الشخصيات التي اخذت على عاتقها مهمة تهدئة الأوضاع عندما بدأت بالتفاقم واحتمال المواجهة المسلحة وهو ما يعكس دوره ومكانته في المجتمع .

محاولات الشيخ يوسف للافراج عن المسجونين :

تبنى الشيخ يوسف محاولات عديدة من أجل الافراج عن المسجونيين ففي مايو سنة ١٩٣٩ قدم الى الشيخ أحمد الجابر عريضة موقعة من ستة عشر شخصا من وجهاء الكويت يطلبون فيها تحسين معاملة السجناء ، فتجاوب الشيخ احمد الجابر مع هذا الطلب ، ولكن يبدو ان بعض افراد الاسرة الحاكمة اعترضوا على هذه الموافقة وتعرض الشيخ يوسف الى اللوم من قبل المعارضين بصفته المسئول عن العريضة(٤٤) ورغم ذلك لم يتوقف الشيخ يوسف عن محاولاته ففي عام ١٩٤١ واثناء قيامه بأداء فريضة الحج حمل رسالة من المسجونين الى ابن سعود ملك المملكة العربية السعودية وحرص على اللقاء به وعرض عليه أن يتوسط لاطلاق سراحهم ، وقال له « أنا احمل رسالة منهم فاذا تريد تقديرهم(٤٥) » وبالفعل إقترح ابن سعود على الحكومة البريطانية ان يتوسط للافراج عن المسجونين ، وتبادل الرسائل مع السلطات البريطانية في جدة ومع المقيم البريطاني في الخليج العربي والحكومة البريطاينة في لندن ، ولكن السلطات البريطانية التي رحبت بحل المجلس لم ترحب بموقف ابن سعود ، وكان رأي المقيم السياسي

البريطاني ان الشيخ احمد الجابر قد سجنهم بسبب [illegible]
كانوا عند ابن سعود لاعدمهم ، واذا كان يريد التوسط فعليه الاتصال بالشيخ احمد الجابر مباشرة وليس عن طريق بريطانيا(٤٦) .

استمرت محاولات الشيخ يوسف فعندما زار حافظ وهبة الكويت سنة ١٩٤٤ وكان يعمل لدى الملك ابن سعود إقترح عليه الشيخ يوسف ان يتدخل ابن سعود للافراج عن المسجونين فاستفسر حافظ وهبه من الشيخ عبد الله السالم ولي العهد حول موقف الاسرة الحاكمة من مسألة اطلاق سراحهم فأكد له عدم وجود معارضة بل انه شخصيا يرى أن بقاءهم في السجن خطأ. ولا شك أن الشيخ احمد الجابر كانت لديه المبررات التي دفعته إلى الافراج عنهم ، بعد أن أمضوا في حبسهم خمس سنوات وثلاثة اشهر واثنى عشر يوما . واطلق سراحهم ليلة ٢٣ جماد أول ١٣٦٣ الموافق ٢٤ ابريل ١٩٤٤ ، ولقد استبشر أهل الكويت بهذا الخبر(٤٧) .

جهود الشيخ يوسف بعد حل المجلس :

ظل الشيخ يوسف يسعى من اجل الاخذ بالشورى كأساس للحكم ، ولذلك فقد أوضح للشيخ احمد الجابر ان حل المجلس تم على أساس ان يقوم مقامه مجلس آخر وان هذا هو رأي اعيان البلد وبعض افراد الأسرة الحاكمة فلم يعترض الشيخ أحمد الجابر على هذا الرأي(٤٨) ، ولكنه لم يوافق على انتخاب مجلس تشريعي يتمتع بالسلطات السابقة ، ولهذا فقد تم تشكيل مجلس شورى بالتعيين برئاسة الشيخ عبد الله السالم الصباح ولي العهد ، ويتألف من أربعة عشر عضوا ، أربعة منهم من الأسرة الحاكمة(٤٩) ، وكان الشيخ يوسف عضوا فيه ، ولكن لم يكن المجلس ذا فاعلية .

وينتقده الشيخ يوسف فيقول « هؤلاء الاعضاء كما قال الحريري « يشفيك ان قال وان قلت وعى » وان منهم من لا يبدي ولا يعيد ، ومنهم من يريد ان تكون

كلمته هي النافذة وان حالفه الاعضاء ، ويضيف الشيخ يوسف ان مصيبة المجلس تكمن في ضعف تنفيذ القرارات « مع انه ناقش موضوعات كثيرة وهامة واصدر القرارات بشأنها » ولكن لم ينفذ منها الا قرار ادارة الايتام التي حفظت أموالهم « بعد ان كانت نهباً بيد الاولياء » كذلك من اهم قراراته انشاء المستشفى الذي قال عنه الشيخ يوسف « ان شاء الله سيكون كعبة القصاد المرضى في هذا الخليج » ولكن تدريجيا اخذ الاعضاء يتسللون من المجلس واحدا بعد الاخر ولم يسألوا عن سبب تخلفهم حتى لم يعد يحضره غير الرئيس والكاتب(٥٠) ولكن هذه التطورات لم تثني الشيخ يوسف عن رأيه بضرورة اتباع الشورى كاساس للحكم ويقول انه لاحياة للبلاد الا بالمجالس الدستورية ، وكان يدعو في الاربعينات الى ضرورة ان تكون في الكويت مجالس منتخبة بشرط ان يراعي الناخبون في انتخابهم أهل المعرفة المقتدرين بغض النظر عن اصلهم وثروتهم وبيوتهم ، لان الاساس هو علم وصدق الانسان وكان يقول « في البلاد المتقدمة يتقدم العالم العامل مهما كان اصله الى اخطر المناصب وفي الكويت اصبح هناك شباب متعلم فلماذا تحرم المجالس من قدراته والاستفادة منه ، ويتم اختيار اعضاء لا يعرفون ولا يحسنون التصرف »(٥١) .

اما الاساس الذي يجب ان تقوم عليه الحكومة الاسلامية فهو برأيه كما يلي :

(١) الشورى كما أمر الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول ان يد الله مع الجماعة ، ولا بد من اتباع رأي الاكثرية وقد يكون الصواب احيانا مع الاقلية ولكن في حالة اتباعها معنى ذلك لا تكون للشورى فائدة أو نتيجة حيث ان خطأ الاكثرية قليل والصواب مع الاقلية نادر ولهذا السبب فان الشورى تقوم على اتباع الاكثرية .

(٢) الامر الثاني الذي كان يؤكد عليه الشيخ يوسف هو الاهتمام بالشئون المالية وتركيزه على ضرورة ان يكون انفاق ميزانية الدولة في صالح الامة ، اي من اجل المصلحة العامة ولا يحق لامراء المسلمين التصرف بها ارضاء لرغباتهم ومصالحهم الشخصية(٥٢) . ولم يتردد الشيخ يوسف طوال حياته

عن العمل من اجل ارساء هذه الاسس والمبادىء .

وقبل أن نكمل الحديث عن الشيخ يوسف في الخمسينات نود ان نتوقف قليلا عند دوره في نشأة البلدية في ١٣٤٨هـ ـــ ١٩٣٠ م(٥٣) . لانها تشكل مظهرا من مظاهر المشاركة الشعبية في ادارة الشئون المحلية .

تأسيس بلدية الكويت ١٣٤٨هـ ١٩٣٠ :

تعد بلدية الكويت من أهم المؤسسات التي كان للشيخ يوسف الدور الأساسي في قيامها ولكي نتعرف على دوره نعود الى عام ١٣٤٦ هـ الموافق يولية ١٩٢٨م عندما غادر الشيخ يوسف البلاد الى البحرين في زيارة لها للاطلاع على أوضاعها التجارية عندما كانت الكويت تعاني من أزمة اقتصادية بسبب الازمة الاقتصادية العالمية وكساد تجارة الؤلؤ ، وبمناسبة سفره كتب عب العزيز الرشيد في مجلة الكويت ما يلي « وقد ودع حضرته جمع غفير من علية الكويتين وأشرافهم وقلوب الكل وجلة على حركات الكويت العلمية والادبية التي كان الاستاذ يحمل رايتها ويشد ساعدها من ان تصاب بعد رحيله بعلة يصعب على الاطباء علاجها »(٥٤) .

وعندما وصل الشيخ يوسف الى البحرين لاحظ الفرق بين نظافة شوارعها والخدمات العامة فيها عما كانت عليه في السابق اثناء زيارته لها ، وكان السبب في هذا التغيير هو البلدية التي تأسست سنة ١٩١٩ ، فقد أخذت على عاتقها القيام بهذه المهمة ، فوجد الشيخ يوسف ان هذا الانجاز يستحق الإشادة والمديح ، ولذلك فقد كتب مقالا ارسله الى مجلة الكويت اراد منه التأثير على المسئولين وكذلك الاهالي وحثهم على تأسيس بلدية في الكويت ، ولقد قارن الشيخ يوسف بين حال البحرين قبل تأسيس البلدية وكيف كان الجو هناك ملبد بالابخرة والرطوبة المرتفعة والارض الملتهبة كالجحيم المغطاة بطبقات الاوساخ ، وبعد قيام البلدية شاهد « ارضا بيضاء معبدة لا نرى فيها عوجا وقد وسعت طرقاتها واسواقها وازيل ما فيها من زبل واوساخ »(٥٥) .

وحرص الشيخ يوسف على توضيح حكم الشرع في انشاء البلدية فقال

« امنت ان النظافة من الايمان وان البلدية واجبة شرعا في كل بلد يكثر فيه السكان ، لان الدين الحنيف قد أمر بازالة الضرر وجعله قاعدة تسير عليها كثير من الاحكام في جميع الازمان ، وقد كشف العلم الذي لا مراء فيه ان منبع الامراض من الاوساخ والاقذار والروائح النتنة والمستنقعات المتعفنة واي ضرر أعظم من امراض تنهك قوى الامة وأوبئة تجتث جذورها وهل من العقل ان يحرم الشرع أخذ قليل من الافراد لسلامة المجموع وهل يجوز هلاك أمة باسرها كلا ثم كلا »(٥٦) .

وبعد انقضاء مهمته في البحرين عاد الى الكويت وبدأ أولى خطواته لتأسيس البلدية فطرح الفكرة على الشيخ عبد الله الجابر الصباح وبعض أعيان الكويت ويقول الشيخ عبد الله الجابر أنه ناقش اقتراح الشيخ يوسف مع (٥٧) الشيخ أحمد الجابر الذي وافق عليه وبالفعل تم انشاء البلدية .

ومما لا شك فيه أن تأسيسها يعد خطوة هامة في طريق مشاركة الاهالي في ادارة الشئون المحلية لبلدهم ، وتعد انتخابات المجلس البلدي اول انتخابات تجرى في الكويت ، ويتكون من اثنى عشر عضوا وحسب قانون البلدية فانها تمارس سلطة تنفيذية ولها قوانينها ونظمها التي تطبق على جميع المواطنين دون تمييز بين غني وفقير كما حدد القانون نظام الانتخابات والجلسات وحددت المادة الخامسة واجبات رئيس المجلس كما نصت المادة الثانية على ان يكون الرئيس من آل الصباح(٥٨) .

وسرعان ما بدأ دور البلدية يتضح ويلمسه الاهالي من خلال الخدمات المتعددة التي كانت تقدمها لهم والتي تشمل الشئون الصحية والنظافة ومراقبة الاسواق والمعونات الاجتماعية واجازات المحلات وملكية الاراضي وتوسيع الطرق . وقد كانت تزاول هذه المهام والخدمات بما يتناسب وميزانيتها العامة والتي كانت عبارة عن نصف بالمائة من دخل الجمرك ، بالاضافة الى بعض الرسوم التي كانت تجمعها من الاهالي مثل رسوم البيوت والدكاكين والمقاهي وغيرها بعد ان تم تقسيم

الاهالي الى اربع فئات حسب الوضع المالي لكل فئة وتم تحديد مقدار الرسوم بناء على هذا التقسيم(٥٩) .

لقد قام الشيخ يوسف بدور فعال في أعمال المجلس البلدي وكان عضوا في المجالس البلدية حتى عام ١٩٣٨ حين تم تشكيل المجلس التشريعي واصبح عضوا فيه حيث ؛ انه لم يكن يسمح بالجمع بين عضوية المجلسين .

دور الشيخ يوسف في الخمسينات :

وفي الخمسينات بدأ بناء الكويت الحديثة بعد استغلال الثروة النفطية فبدأ التطور في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية وادخلت التعديلات في الجهاز التنفيذي وتعددت الدوائر الحكومية وتنوعت وبدأت الدولة الحديثة بتقديم الخدمات العامة للشعب من صحية وتعليمية واجتماعية مما ادى الى ازدياد عدد الوافدين من مختلف الدول العربية والاسلامية والاجنبية فاختلفت الاتجاهات السياسية فهناك المحافظة والمتطرفة والمعتدلة والمتزمتة . في تلك الأثناء كان الشيخ يوسف قد تجاوز السبعين من عمره فلم يعد يستطيع القيام بدوره السابق ، ولكنه ظل يسعى الى تحقيق الاصلاحات التي كان يعتقد انها ضرورية محافظة منه على المجتمع الكويتي من أية تأثيرات سلبية تلحق الضرر بإسلامه وقيمه ووحدته ومع أنه لم يكن عضوا في مجالس الدوائر الحكومية فانه لم يتوقف عن المساهة في الاصلاح بقدر استطاعته ، ولم يتوقف ابدا عن نصح وارشاد الاهالي والمسئولين في الدولة نظرا لقيامهم على شئون ومصالح الكويت ، وعندما تولى الشيخ عبد الله السالم الحكم وكانت تربطه صداقة مع الشيخ يوسف كان يحرص على مناقشته في شئون حكم الكويت ، ولم يكن الشيخ يوسف يكتف بلقاءاته المستمرة معه من خلال تردد الشيخ عبد الله السالم على مجلسه قبل عصر معظم ايام الاسبوع لمناقشة الموضوعات المختلفة والاطلاع على المؤلفات المتنوعة(٦٠) ، بل حرص ايضا على الكتابة اليه ببعض المقترحات المهمة التي كان يرى انها ستعود بالمنفعة على الكويت ، ومنها مثلا اقتراحه بشأن اعادة مجلس الشورى في المستقبل على اساس الحرية واتباع الحق كما اقترح عليه في بادىء الامر ان يختار من الجماعة (من أهل

الكويت) اربعة أو خمسة من اهل المعرفة مؤكدا في رسالته عدم رغبته في أن يكون احدهم بقوله (غير يوسف بن عيسى) ويجب أن يكونوا في بادىء الامر للاستشارة في الامور المهمة ، واشار ايضا في رسالته الى حاكم الكويت الى امر هام يتعلق بتطبيق الأحكام ونبه إلى أنه طالما أن المباشرين والمسئولين عن تطبيقها هم الشيوخ عبد الله المبارك وعبد الله الاحمد وعبد الله الجابر وصباح السالم فلا حاجة لاحد من الاسرة الحاكمة أن يحكم اذا رفع اليه امر بل عليه أن يحيله على هؤلاء المعينين من قبل الحاكم ، كما نبه الى مشكلة هامة وهي انتشار المشروبات الكحولية وأكد على ضرورة معالجتها والقضاء عليها(٦١) .

وأشار ايضا الى تذمر أهل الكويت من بعض الحوادث السابقة ، لافتا النظر الى أنه قد كتب من قبل بهذا الخصوص الى الشيخ أحمد الجابر حيث لفت انتباهه الى استغلال بعض أصحاب النفوذ لسلطاتهم منها ومحذرا بأن هذا الوضع قد يؤدي الى تفاقم الحالة في الكويت ، وذكره أيضا بما قاله المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي من أن « بريطانيا ستكتفي بمصالحها التجارية مع العرب ولا تريد التدخل في شئونهم ولكن ماذا تعمل مع كثرة شكاوي الاهالي » وقد أراد المقيم السياسي اعطاء التدخل البريطاني في الشئون الداخلية مبررات تتعلق بعدم التزام المسئولين في أداء واجبهم على أكمل وجه . ولذلك كان راي الشيخ يوسف الانتباه وعدم افساح المجال للتدخل البريطاني .

كما قال الشيخ يوسف للشيخ عبد الله السالم « بالامس كنت لنفسك واليوم انت الامير وعليك ان تطلع يوميا على ما يجري في دوائر الحكم » واقترح عليه ان يصدر اوامره للدوائر الحكومية بأن يلخص القائمون عليها كل ما جرى في ذلك اليوم ليطلع الحاكم عليه وكما يقول الشيخ يوسف « وفيها كشف عن التعدي الذي لا يسعني شرحه » وقال أيضا « ان دائرة الاعتماد البريطانية تطلع يوميا على ما يجري وانت احق منها بالاطلاع لانك مسئول عن حالة الرعية وكل ما كان في حق الله وحق الرعية عليك ان لا تتهاون فيه »(٦٢) .

وهكذا ظل تأثير الشيخ يوسف منعكسا على كثير من الاحداث بنصحه

وارشاده وتوسطه في حل الخلافات التي كانت تنشا بين القائمين على شئون الادارة في الدوائر الحكومية ، ففي عام ١٩٥٢ تم تشكيل مجلس الانشاء الذي كانت مهمته اقرار مشاريع التنظيم والعمران ومشاريع المرافق العامة ويتكون من اعضاء من المجلس البلدي المنتخب ومدراء من الدوائر الحكومية التي ترتبط أعمالها بالمرافق العامة بالاضافة الى كبار مهندسي الدوائر الفنية كأعضاء مستشارين ، وكان لهذا المجلس صلاحيات تشريعية وتقديرية واسعة(٦٣) برئاسة رئيس البلدية الشيخ فهد السالم الصباح الذي هو ايضا رئيس الاشغال العامة ، وفي تلك الفترة ظهرت بعض الخلافات بين الرئيس والاعضاء الثلاثة في مجلس الانشاء الذين يمثلون المجلس البلدي والذي كان يشتكي من أن رئيسه لا يترك له العمل بحرية ، ولذلك فقد رفض الاعضاء دعوته لعقد اجتماع قائلين انهم يريدون التباحث مع الحاكم وبناء عليه فقد طلب الشيخ عبد الله السالم من الشيخ يوسف حضور جلسة مصالحة لفض هذه الخلافات(٦٤) .

وفي اثناء الاجتماع كان الشيخ يوسف وكعادته صريحا حين قال لرئيس المجلس ان الجميع يعتبرونه المسئول عن المشاكل التي تعاني منها الادارة ، لأنه رئيس اهم ادارتين آنذاك وهما البلدية والأشغال المسئولتان عن تنفيذ المشاريع في البلاد ، فوعد الشيخ فهد السالم الحضور بأن يقبل اي قرار تقره البلدية بالأغلبية في المستقبل .

وفي هذا الصدد أكد الشيخ يوسف للشيخ عبد الله السالم رأيه بخصوص الاصلاحات العامة مشيرا الى ضرورة الحزم ووضع حد لممارسات بعض المسئولين في الادارات الحكومية(٦٥) وخارجها .

وفي أعقاب ما شهدته الكويت من تطورات في ادارتها المحلية في عام ١٩٥٤ بتأليف اللجنة التنفيذية العليا لاعادة تنظيم الادارات الحكومية ، فقد ظل الشيخ يوسف يؤكد على ضرورة وضع حد للممارسات التي أعقبت استغلال الثروة النفطية وظهور المشاريع العديدة خاصة في تلك المرحلة التي ظهر فيها تداخل اختصاصات اجهزة الدولة وسوء استغلال المراكز والوظائف والسلطات ، فمع

كثرة الانفاق على مشاريع التنمية ظهرت بعض التجاوزات المالية لعدم وجود رقابة ومحاسبة اذ لم تكن الادارة المالية ذات سيطرة فعالة على عملية الانفاق في الدولة(٦٦) .

ولما كان الشيخ يوسف لا يرضى عن تلك الممارسات فقد كان يحذر من نتائجها على مستقبل الكويت .

وكان ينتقد التبذير في المال العام في بعض الدول العربية حيث يقول « ان الحرام هو ما يتقاضاه ملوكنا وأمراؤنا ووزراؤنا واهل المناصب العالية من مال الحكومة حيث ينفقون بغير حساب على السكر والقمار والمحرمات ، ثم يضيف ويسلبون ثروة الامة التي هي في أمس الحاجة لها لبناء مستقبلها ودرء الاخطار التي تهدد كيانها ، من جهة اخرى نرى السواد الاعظم يتضورون جوعا »(٦٧) .

وكم كان يتألم لأن اصحاب الفضل بمعزل عن السياسة والناس لا يهتدون اليهم في حين يمارس هذه الشئون من لا يحسنون التصرف ولا يهتمون بمصالح الناس(٦٨) .

عمل الشيخ يوسف في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الكويت على بذل النصح والارشاد وكان مسموع الكلمة ، فقد لعب دورا كبيرا في تهدئة العاصفة التي سببتها الاستقالة الجماعية لاعضاء المجالس المنتخبة ، وكانت مجموعة تمثل التجار قد تقدمت بعريضة الى الشيخ عبد الله السالم في يوليو ١٩٥٤ يشكون فيها من التبذير وعدم كفاءة الادارات الحكومية ويطالبون بوضع قيود على الهجرة الاجنبية الى الكويت(٦٩) لما تشكله من خطورة على حاضر ومستقبل المجتمع الكويتي .

كما قام بدور هام وفعال في اواخر ١٩٥٣ عندما ابدى الشيخ عبد الله السالم رغبته في اعتزال الحكم ، وارسل الى الشيخ يوسف لمقابلته وبين له أنه تعب وينوي الاعتزال ولكن الشيخ يوسف اكد له اهمية بقاءه في الحكم ، وبعد ذلك قام الشيخ عبد الله السالم باستدعاء الشيخ يوسف مرة أخرى وبعض التجار واخبرهم بعزمه على الاعتزال وأن عليهم أن يختاروا حاكما اخر ، ولكن كان رأيهم جميعا أن اختيار حاكم ليس من شأنهم وانهم يريدون منه ان يستمر في الحكم(٧٠) ،

واكد الشيخ يوسف له ان اعتزاله سيؤدي الى ظهور مشاكل كثيرة في تلك الفترة ، وانه لمواجهة الموقف والظروف التي كانت تمر بها الكويت ـــ والمتعلقة بمشاكل الادارة والخلافات بين كبار المسئولين وللقضاء على الممارسات الخاطئة ـــ لا بد من تكوين مجلس استشاري وكان يشاركه الرأي بعض التجار ، ولكن استمرت مناقشة الوضع العام وفي نهاية يونية ١٩٥٤ في اعقاب عودة حاكم الكويت من الخارج تقدمت اليه مجموعة من التجار بعريضة تشد الانتباه الى الحالة غير المرضية في الادارة الحكومية فاستدعى الشيخ عبد الله السالم الشيخ عبد الله الجابر الذي كان موجودا في القاهرة وعقدت الاسرة الحاكمة سلسلة من الاجتماعات فيما بينهم وكذلك مع التجار والتي لعب خلالها الشيخ يوسف دورا نشطا وفعالا وطرح العديد من الاقتراحات والملاحظات ولقد تناولت تلك الاجتماعات أمر تشكيل مجلس من التجار لمشاوره الحاكم ولكن لم يتم التوصل الى اتفاق بهذا الشأن(٧١) وفي ١٩ يوليو من نفس العام تم تشكيل المجلس التنفيذي الاعلى من ثلاثة من افراد الاسرة الحاكمة وثلاثة من موظفي الحكومة .

موقفه من التيارات السياسية :

لقد شهدت الساحة الكويتية العديد من التيارات والاتجاهات السياسية منذ الخمسينات ، منها التيار القومي والاقليمي والاسلامي بالاضافة الى بعض الوافدين من العرب وغيرهم الذين كانوا يحملون الفكر الشيوعي والبعثي ، والشيخ يوسف الذي لم يكن يقبل الحجر على عقول واتجاهات الاخرين كان ينبه إلى ضرورة التمسك بالاسلام فهو العقيدة الوحيدة التي يجب الايمان بها والعمل بهديها ، ويرفض الاتجاهات الأخرى ولم يكن يحبذ التطاحن بينها ، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن يتردد عن مساندة التيارات التي لا تتعارض مع الدين الاسلامي فمثلا قدم لمجلة الايمان والتي كان يصدرها النادي الثقافي القومي في الكويت (مائة روبية) بدل اشتراك علما بأن قيمة الاشتراك الحقيقية كانت ست روبيات .أي أنه تبرع بالباقي للمجلة التي شكرته على مساندته(٧٢) . كما كانت

تربطه علاقات طيبة بجمعية الارشاد الاسلامي وهي جمعية تربطها علاقات بجماعة الاخوان المسلمين في مصر . ولكنه لم يكن ينتمي إلى أي من هذه الجماعات أو الأحزاب وكان باستمرار متعاطفا مع الحركات الوطنية المعادية للاستعمار فقد أشرنا أنه كان أحد أعضاء لجنة جمع التبرعات لفلسطين في عام ١٩٣٦ ، وكان باستمرار يتألم لما حل بالعرب من مآسي خصوصا في فلسطين ويبدي تأثره لاختلاف المسلمين الذين « رضوا باحتلال اليهود لفلسطين وهم الذين ضربت عليهم الذلة قرونا طويلة ، والمؤسف كما يقول أن هذه الخلافات تستمر في الوقت الذي يستعد فيه اليهود لاحتلال مزيد من الأراضي العربية »[٧٣] .

هوامش

(١) الملتقطات الجزء الأول ص ٦٢ .

(٢) عبد العزيز رشيد المرجع السابق ص ٧٤ .

(٣) اضطربت العلاقات الكويتية النجدية في أواخر حكم الشيخ مبارك الصباح وكانت هناك بعض الأسباب لاعلان الحرب ، فمن المعروف أن هناك اتفاقية تركية انجليزية تم التوقيع عليها في يوليه سنة ١٩١٣ وحال نشوب الحرب العالمية الأولى دون تصديقها ، جاء ضمن موادها تحديد لحدود الكويت ، وعندما سيطر ابن سعود على الاحساء في نفس العام اراد توسيع حدود ممتلكاته فلم يعترف بهذه الاتفاقية وقد شجعته بريطانيا على ذلك ولهذا السبب قام الشيخ سالم الذي ادرك نوايا ابن سعود ببناء قلعة في دوحة يلبول لتكون بمثابة حدود في اقصى الجنوب للكويت لكي يتجنب هجمات ابن سعود الذي اعترض على هذا الاجراء وأمر احد زعماء مطير (ابن شقير) شن هجوم واحتلال جاريا العليا التي تدخل ضمن حدود الكويت وهكذا بدأت معركة حمض مايو ١٩٢٠ ثم معركة الجهراء اكتوبر ١٩٢٠ لمزيد من المعلومات حول العلاقات الكويتية النجدية انظر د. نجاة عبد القادر . التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين الفصل الثاني ـــ القاهرة ١٩٧٣ .

(٤) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .

(٥) سيف الشملان ـــ من تاريخ الكويت . ص ١٩٥ ـــ ١٩٦ .

(٦) اعتمدنا على نص الوثيقة المنشورة في كتاب تاريخ الكويت لمؤلفه الأستاذ سيف الشملان . والتي تضم تواقيع عدد من الكويتيين الذين لم يذكر انهم حضروا اجتماع ديوان ناصر البدر ، ومن هنا فاننا نرى أن هناك اكثر من عريضة تتضمن المطالب السابقة وتحمل تواقيع مجموعة من الكويتيين فالكويت كانت مقسمة الى أحياء وبالتالي فلا نستبعد أن تكون هناك أكثر من عريضة موقعه من اكثر من حي فهناك حي الوسط والشرق والقبلة والمرقاب .

(٧) الملتقطات الجزء الأول . ص ١٢٠ .

اعضاء المجلس :

حمد الصقر ـــ الشيخ يوسف بن عيسى ـــ هلال فجحان المطيري ـــ عبد الرحمن النقيب ـــ شملان بن على بن سيف ـــ ابراهيم المضف ـ الشيخ عبد العزيز رشيد ـ احمد الحميضي ـ مرزوق البدر ـــ خليفة بن شاهين الغانم ـــ احمد الفهد الخالد ـــ مشعان الخضير .

(٨) د. عادل الطبطبائي ، المرجع السابق .

(٩) الملتقطات الجزء الأول ص ١٢١ .

(١٠) الرشيد المرجع السابق .

(١١) لمزيد من التفاصيل حول بلدية الكويت انظر مؤلفنا ـــ بلدية الكويت في خمسين عاما اصدار بلدية الكويت سنة ١٩٨٠ .

(١٢) انظر : د. نجاة عبد القادر الجاسم ـــ التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ١٩١٤ ـــ ١٩٣٩ الحركة الاصلاحية الفصل الخامس .

(١٣) خالد سليمان العدساني ـــ يوميات غير منشورة حول المجلس التشريعي الاول والثاني ص ١٣ ـــ ١٤ .

(١٤) خالد العدساني ـــ اليوميات ص ١٨ ـــ ١٩ .

(١٥) I - O - Lp15/12 - conf - 30 - File - 158
. Kuwait - The Shaik and His Council.

(١٦) الملتقطات الجزء الأول ص ١٢١ .

(١٧) المرجع السابق .

(١٨) خالد العدساني ـــ اليوميات ـــ ص ٢٦ .

(١٩) خالد العدساني ـــ نصف عام للحكم النيابي في الكويت ـــ ص ٩ .

اعضاء المجلس :

الشيخ يوسف بن عيسى ـــ عبد الله حمد الصقر ـــ محمد الثنيان الغانم الذي استقال لضغط عائلي ـــ وحل محله محمد بن شاهين الغانم ـــ السيد علي السيد سليمان ـــ سليمان خالد العدساني ـــ يوسف المرزوق ـــ عبد اللطيف محمد الثنيان الغانم ـــ صالح العثمان الراشد ـــ حمد الداود البدر المرزوق ـــ يوسف صالح الحميضي ـــ مشعان الخضير الخالد ـــ مشاري الحسن البدر ـــ خالد العبد اللطيف الحمد .

(٢٠) القانون الأساسي : المادة الأولى : الأمة مصدر السلطات ممثلة في هيئة نوابها المنتخبين .

المادة الثانية : على المجلس التشريعي ان يضع القوانين التالية :

١ ـــ **قانون الميزانية** : اي السيطرة الصحيحة على كل دخل ومصاريف ونفقات البلاد وتصريفها بطريقة عادلة باستثناء الأملاك الشخصية للعائلة الحاكمة التي ليس للمجلس حق التدخل فيها .

٢ ـــ **قانون العدالة** (القضاء) والمقصود به تنفيذ الأحكام الشرعية والعرفية بطريقة تضمن حسن اقامة العدالة بين الناس .

٣ ـــ **قانون الأمن العام** ، والغرض منه ضمان الأمن داخل وخارج البلاد الى اقصى الحدود .

٤ ـــ **قانون التعليم** والهدف منه اصدار قوانين التعليم كما هو الحال في البلاد المتقدمة .

٥ ـــ **قانون الصحة العامة** والغرض منه وضع القوانين الصحية التي تحمي البلاد وسكانها من اخطار الأمراض بكل انواعها .

٦ ـــ **قانون التحسينات والاصلاحات** ويشمل تعبيد الطرق خارج المدينة وبناء السجون وحفر الآبار وغير ذلك من الاصلاحات التي يرى ضرورتها داخل وخارج البلاد .

٧ ـــ **قانون الطوارىء** والمراد به سن قانون في البلاد لمواجهة حدوث أمر مفاجىء يخول السلطة حق تنفيذ جميع الأحكام المقتضية لصيانة الأمن في البلاد .

٨ ـــ كل قانون اخر تقتضي مصلحة البلاد تشريعه .

المادة الثالثة : ان المجلس التشريعي هو المرجع لجميع المعاهدات والتراخيص والاحتكارات سواء كانت داخلية أو أجنبية واذا كانت أي من هذه تحتاج الى تجديد فانها لن تعتبر قانونية الا اذا اطلع عليها وأقرها المجلس .

المادة الرابعة : بما أن البلاد ليس فيها محكمة استئناف فان مهام هذه المحكمة توضع مؤقتا في أيدي المجلس التشريعي حتى يحين الوقت الذي تشكل فيه المحكمة الخاصة لهذا الغرض .

المادة الخامسة : رئيس المجلس التشريعي هو الذي يمثل السلطة التنفيذية في البلاد .

خالد العدساني نصف عام للحكم النيابي ص ١١ — ١٢ .

د. نجاة عبد القادر الجاسم — التطور السياسي والاقتصادي ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

(٢١) الملتقطات . جـ ١ ص ١٢١ — د. نجاة عبد القادر المرجع السابق ص ٢٣٧ .

I-o L/P, S/12 Conf 30 File 158 Political Agent Kuwait. to political Resident 7 July 1938.

(٢٢) المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٢٣) المرجع السابق .

(٢٤) بدر خالد البدر رحلة مع قافلة الحياة الجزء الأول الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧ م — ص ٢٤٧ .

(٢٥) عبد الله الحاتم . المرجع السابق ص ١١٤ .

فقد عمل بعض التجار على احتكار هذه الشركة بعد ان طرح تأسيسها على الكويتين كافة أنظر خالد العدساني — اليوميات ص ٣٧ — ٣٨ .

(٢٦) خالد العدساني — اليوميات ص ٦٥ — ٦٦ .

(٢٧) الملتقطات جـ ١ ص ١٢١ .

(٢٨) المرجع السابق .

(٢٩) خالد العدساني — اليوميات . ص ٦٥ — ٦٦ .

(٣٠) الملتقطات . ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٣١) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى .

(٣٢) خالد العدساني — اليوميات ص ٧٥ .

(٣٣) المرشحون الذين فازوا : الشيخ يوسف بن عيسى (٣٣٣) صوتا . حمد الداود المرزوق (٢٧٥) صوتا . خالد عبد اللطيف الحمد (٢٧٠) صوتا . مشعان الخضير (٢٦٥) صوتا . محمد بن شاهين الغانم (٢٥٨) صوتا . سلطان الكليب (٢٥٤) صوتا . عبد الله حمد الصقر (٢٥٢) صوتا . مشارى الحسن البدر (٢٥٠) صوتا . عبد اللطيف ثنيان الغانم (٢٤٨) صوتا . سيد علي سيد سليمان (٢٤٨) صوتا . احمد بن خميس (٢٣٧) صوتا . يوسف الحميضي (٢٣٣) صوتا علي البنوان (٢٠٩) صوتا . سليمان العدساني (٢٠٥) صوتا . صالح العثمان (٢٠٤) صوتا . علي العبد الوهاب المطوع (٢٠٢) صوتا . مشاري هلال المطيري (١٩٨) صوتا . محمد الأحمد الغانم (١٥٨) صوتا . نصف بن يوسف (١٧٢) صوتا . يوسف العدساني (١٦٩) صوتا .

I - O R/15/548

Political Agency - Kuwait -

27th Dec - 1938.

(٣٤) خالد العدساني ــ اليوميات . ص ٩٣ ــ ٩٤ ــ ٩٧ ــ ٩٨ .
اعترفت بريطانيا في نوفمبر ١٩١٤ بالكويت اماره مستقلة تحت الحماية البريطانية .
انظر د. نجاة عبد القادر ــ التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ــ الفصل الثالث .
بموجب اتفاقية الحماية فقد التزم الشيخ مبارك الصباح هو وورثته ومن يخلفه بألا يستقبل اي وكيل لأي دولة أو حكومة اجنبية في الكويت أو في أي جزء من حدود بلاده بدون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية ، ولا يتنازل أو يبيع أو يؤجر أو يرهن أو ينقل ولا يعطي للسكن قطعة من اراضيه لأي دولة أو رعايا احدى الدول دون الحصول على موافقة الحكومة البريطانية ــ المرجع السابق ص ١٩ .

(٣٥) خالد العدساني ــ اليوميات ص ٩٦ .

(٣٦) خالد العدسان ــ اليوميات ص ٩٧ ، ونصف عام للحكم النيابي ص ٤٨ ــ ٤٩ .

(٣٧) العدساني ــ اليوميات ص ١٢٨ .

(٣٨) جاسم شهاب ــ المرجع السابق ص ٣٩٥ .

(٣٩) العدساني اليوميات .

(٤٠) I - O R/15/5/206 - D - C174 - Confidential Political Agency - Kuwait to Political Resident in the Gulf .

(٤١) عبد اللطيف ثنيان الغانم ــ سيد علي سيد سليمان ــ مشعان الخضير ــ صالح العثمان الراشد ــ سليمان العدساني ــ كما سجن يوسف المرزوق .
المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف

(٤٢) خالد سليمان العدساني ــ سكرتير المجلس التشريعي الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ــ ١٩٣٩/٤/١١ ــ العنوان ــ عبد الله الخالد البدر ــ العشار .

(٤٣) خالد العدساني ــ اليوميات ــ ص ١٠٦ .

(٤٤) I-O R/15/5/206 - Confidential - News of Local Affairs.

(٤٥) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف ٢/ يونيه ١٩٦٦ .

(٤٦) I-O R/15/5/206 - Telegram from political Resident-
Bushire to secretary of state for India - No.207 - 24th Jun 1944.

(٤٧) رسالة من الشيخ يوسف بن عيسى الى احد اصدقائه (الاسم غير مذكور) في ٥ جمادي الآخرة ١٣٦٣هـ .

(٤٨) الملتقطات الجزء الاول ص ١٢٢

(٤٩) المرجع السابق .

(٥٠) الملتقطات ــ الجزء الأول ص ١٢٢ .

(٥١) المرجع السابق .

(٥٢) الملتقطات الجزء الخامس ص ٣٣٠ .

(٥٣) بموجب قانون البلدية الصادر في شوال ١٣٤٩ فان تاريخ تأسيس البلدية هو محرم ١٣٤٩ ولكن اعلاناتها يعود تاريخها الى ذي القعدة ١٣٤٨ هـ

انظر مؤلفنا : بلدية الكويت في خمسين عاما .

(٥٤) صدر العدد الاول من مجلة الكويت في فبراير ١٩٢٨ .

مجلة الكويت الجزء ٧ شهر ربيع الاول ١٣٤٦ ــ المجلد الثاني ص ٢٢٦ .

(٥٥) مجلة الكويت المرجع السابق .

(٥٦) المرجع السابق .

(٥٧) يوسف شهاب المرجع السابق .

(٥٨) انظر ــ د. نجاة عبد القادر الجاسم/ بلدية الكويت في خمسين عاما ــ « قانون البلدية » .

(٥٩) د. نجاة عبد القادر المرجع السابق .

(٦٠) مجلة البعثة ــ جمادي أول ١٣٦٩ ــ فبراير ١٩٥٠ السنة الرابعة ــ العدد الثاني .

(٦١) من رسائل الشيخ يوسف الخاصة ــ رسالة الى الشيخ عبد الله السالم الصباح ٣٠ ربيع .

(٦٢) من الامور الاخرى التي كان الشيخ عبد الله السالم يحرص على معرفة رأي الشيخ يوسف حولها شؤون التنظيم فقد ارسل اليه خريطة الكويت وطلب رأيه بخصوص توسعة الشوارع والخطط الجديدة ، فكان رأي الشيخ يوسف انها « صادرة من خبير مطلع ولم نلاحظ عليها سوى زيادة في التوسعة الهائلة في فتح الشوارع بلا حاجة ماسة فالطرق تكون حسب ما تقتضيه الحاجة ، مثلا طريق محله الغنيم تبين بعد افتتاحها انه لو كان واسع لكان اصلح والسبب كثرة سيارات النقل » . (من اوراق الشيخ يوسف الخاصة) رسالة الى الشيخ عبد الله السالم بعنوان « موعظة وذكرى » .

(٦٣) الكويت باقلام نخبه من كتاب العرب ــ تطور انظمة السلطات المركزية والبلدية في الكويت ــ خالد الحسن ١٩٦٥ ــ ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

(٦٤) يوسف شهاب ــ المرجع السابق ص ٢٤١ .

(٦٥) F.O. 371/109810-81583-Political Agency-Kuwait-July-26-1954-Despatch No. 32-Confidential-to Foreign- Anthony Eden- Sec. of State- For Foreign affairs.

(٦٦) F.O. 371/109936- 81724- Copy- Secret Kuwait- 4- March 1953.

(٦٧) الملتقطات الجزء الثاني ص ٢٢٠ .

(٦٨) المرجع السابق ص ٢٤٦ .

(٦٩) F.O. 371/109810- 81583- Pely- No 158 July- 1954- To- Bahrain- Telegram no 142 7 July- To F- O.

(٧٠) F.O. 371/104264- 81593- Political Agency- Kuwait 19th Oct.- 1953- Conf. Despatch. No. 14.

(٧١) F.O. 371/109806- 81795- British Residency- Bahrain August- 12- 1954 Conf.

(٧٢) مجلة الايمان ــ السنة الاولى العدد ٥ أيار ١٩٥٣ .

(٧٣) الملتقطات جـ ٢ ص ١٣١ .

الفصل الخامس

موقف الشيخ يوسف من مشكلة المسابلة بين الكويت ونجد

تعتبر مشكلة المسابلة* من اهم المشاكل التي اثرت على العلاقات الكويتية السعودية خلال الفترة ١٩٢٣ ـــ ١٩٤٢ فقد كانت الكويت بحكم موقعها الجغرافي وانخفاض الرسوم الجمركية فيها والتي كانت عبارة عن ٠٤/٠ ، كانت المركز التجاري لمعظم أهالي الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية مما ادى الى اتساع حجم تجارتها باستمرار وكان رعايا تلك البلدان يتزودون من الكويت بما يحتاجونه من سلع سواء للمتاجرة أم للاستهلاك ، وبعد ان سيطر ابن سعود على الاحساء في عام ١٩١٣ وطرد القوات التركية منها دخلت ضمن حكمه المنافذ البحرية وهي الجبيل والقطيف والعقير ، الا انها ظلت بعيدة عن ان تصبح مراكز مماثلة لميناء الكويت ، الذي ظل من اهم الموانىء المتفوقة ، ولذلك فقد تطلع ابن سعود الى تنمية الموانىء التابعة له ، فاجبر رعاياه على عدم المسابلة مع الكويت والتوجه الى موانئه مباشرة وأرسل الى الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت يحيطه علما بذلك ويقول له ان الداعي لهذا الاجراء هو استحالة جمع الضرائب عن السلع الواردة الى نجد عن طريق الكويت عند الحدود الصحراوية بين البلدين .

مطالب ابن سعود :

أوضح ابن سعود انه يريد اقامة جمرك نجدي في الكويت وذلك بأن يعين

---

* يعود ظهور هذه المشكلة الى بداية حكم الشيخ جابر المبارك ١٩١٥ ـــ ١٩١٧ حين أبدى ابن سعود رغبته في أن يقوم الشيخ جابر بتحصيل الرسوم الجمركية على السلع التي تخرج من الكويت إلى نجد لأنه غير قادر على تحصيل الرسوم من أهالي نجد الذين كانوا يسابلون مع الكويت فرفض الشيخ جابر هذا الطلب وبالاضافة إلى العامل الاقتصادي فقد كان ابـن سعـود يهدف إلى تحقيـق بعض الأهداف السياسية الأخرى .

موظفا من قبله يجمع الرسوم على سلع رعاياه في الكويت والمرسلة الى نجد . أو ان يدفع حاكم الكويت اليه مبلغا سنويا يعادل قيمة الرسوم المفروضة على تجار نجد ، اما الاختيار الثالث فهو ان يعين حاكم الكويت موظفا يقوم بمهمة تحصيل هذه الرسوم .

موقف حاكم الكويت الشيخ احمد الجابر :

لم يقبل الشيخ أحمد الجابر هذه المقترحات ، خاصة وان ابن سعود كان يريد من هذه التطلعات تحقيق اهداف سياسية في الكويت ، ولذلك فقد تبودلت عدة رسائل بين الطرفين واستقر الرأي في ١٩٢٣ على ايفاد مندوب عن ابن سعود الى الكويت بغرض الاطلاع على جمرك الكويت ، ولكن هذا المندوب صرح أثناء زيارته للكويت ان لابن سعود الحق في كل عوائد التصدير من الكويت ، كما طلب موافقة الكويت على تعيين موظف جمرك دائم لابن سعود في اراضيها ، وانه بدون تطبيق هذه المقترحات لا يمكن التوصل الى اتفاق ، كما اكد المندوب ان ابن سعود لا يمكن أن يقبل أقل من سبعة آلاف روبية يجب أن تدفعها الكويت اليه سنويا .

اما الشيخ أحمد الجابر فقد اكد منذ البداية رأيه الذي يتلخص في أن يقوم ابن سعود بجمع عوائد جمركه داخل املاكه أي في الاراضي النجدية ، ولا يمكن ان يقبل تعيين موظف سعودي في جمرك الكويت[١] . فهو يرى ان كل ما يتعلق بمعلومات جمرك الكويت شأنا خاصا وبالتالي فانه رغم رغبته في عقد اتفاقية ودية مع ابن سعود لحل هذه المشكلة الا انه يرفض السماح لمندوب ابن سعود الاطلاع على سجلات جمرك الكويت لمعرفة حجم الصادرات الى نجد ، وعندما قدم جدولا يوضح صادرات وواردات الكويت في المدة من اكتوبر ١٩١٨ الى الرابع والعشرين من سبتمبر ١٩١٩ كان رأي الوكيل السياسي البريطاني انها معلومات غير صحيحة[٢] .

لقد ظلت المشكلة دون بوادر حل لها خصوصا وان ابن سعود كان يصر على

مندوب ابن سعود وبدلا من ذلك قرر ان يوفد من جانبه مندوبين الى سلطان نجد للتباحث معه ، يكون احدهما من الاسرة الحاكمة[٣] .

اما المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي فقد كان يؤيد موقف الشيخ احمد الجابر الرافض قبول تعيين موظف من قبل ابن سعود في جمرك الكويت خاصة وأن حاكم الكويت كان يرى ان هذا الموظف لن يقصر اهتمامه على شئون صادارت نجد بل سيتدخل في مختلف الشئون على اساس ان وكيل ابن سعود في البحرين والذي كانت مهمته تقتصر على الامور التجارية أخذ ينتحل لنفسه مركز قنصل وأبدى رغبته في التوقيع على جوازات السفر والتدخل في الشئون الادارية .

ونحن لا نريد الدخول في تفاصيل مشكلة المسابلة ومواقف كل الاطراف المعنية منها ولكننا سنتناول اهم تطورات تلك المشكلة بما يخدم موضوع هذا الكتاب وهو دور الشيخ يوسف .

الشيخ عبد الله السالم في الرياض :

وفي تلك الاثناء استقر رأي الشيخ أحمد الجابر علي ايفاد ولي العهد الشيخ عبد الله السالم الى الرياض للتباحث مع ابن سعود ، وكان تجار الكويت يريدون استئناف التجارة مع نجد ولكنهم لا يوافقون على إيفاد موظف جمرك من نجد إلى الكويت[٤] ، في الوقت نفسه كان موقف السلطات البريطانية يتلخص في ان يتم استئناف التجارة النجدية عن طريق الكويت ، وان يقام جمرك الكويت على اساس علمي وان يتم تحديد نصيب الطرفين المتنازعين في الجمرك المفروض على كل « باله » من السلع بموافقة الطرفين على ان يتم توزيع العوائد بين ابن سعود والشيخ أحمد الجابر واخيرا ان ترسل السلطات البريطانية خبيرا جمركيا من الهند الى الكويت ، رغم ان المقيم السياسي البريطاني كان يعلم ان أهل الكويت لن يرحبوا بهذا الخبير الاجنبي ، هذا وقد تضمنت المقترحات البريطانية ايضا ان يقوم الخبير بتقدير النصيب السنوي للرياض في عوائد جمرك الكويت لفترة عشر سنوات

تخضع للمراجعة بناء على طلب أي من الطرفين المتفقين على ان يتم الاخطار قبلها بسنة(٥) .

عودة الشيخ عبد الله السالم من الرياض :

وبعد زيارة قصيرة للرياض اجرى خلالها مباحثات مع ابن سعود وتبادل الهدايا معه عاد الشيخ عبد الله السالم الى الكويت حاملا بعض المقترحات والتي عرضها على حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر في اجتماع تم بينهما في ٢٩ يونية ١٩٢٣ وتتضمن هذه المقترحات النقاط التالية :

يكون الشيخ عبد الله السالم وكيلا لابن سعود في الكويت والمقصود من ذلك هو ان يكون المسئول عن جمع الرسوم على السلع المصدرة الى نجد . وان تتم المراسلات معه فقط ، ومن ناحيته يسمح ابن سعود باعادة العلاقات التجارية مع الكويت مقابل كل العوائد الجمركية على السلع المتجهة من الكويت الى نجد باستثناء السلع الخاصة بأهالي الكويت . اما عوائد السلع الخاصة بتجار نجد المتجهة الى العراق من الكويت فالمسئول عنها الشيخ عبد الله السالم . ولكن لم يستحسن حاكم الكويت هذه الشروط(٦) فقد اعتبرها تدخلا في شئون بلده .

موقف تجار الكويت :

كان لا بد من طرح المقترحات التي حملها الشيخ عبد الله السالم على التجار للتعرف على موقفهم منها ، ولذلك فقد عُقد مساء ٣٠ يونيه ١٩٢٣ اجتماع حضره حاكم الكويت والشيخ عبد الله السالم وكبار التجار والوجهاء وهم شملان بن علي بن سيف وحمد الصقر وحمد الخالد ــ والشيخ يوسف بن عيسى وأحمد الحميضى .

بدأ الشيخ عبد الله السالم الاجتماع بشرح أهمية الزيارة التي قام بها الى الرياض ومباحثاته التي تمت مع ابن سعود ، واكد على اهمية قبول شروط ابن سعود وأنه بمجرد موافقتهم على تلك الشروط فانه بصفته وكيل ابن سعود في الكويت سيرسل

الى رجال ابن سعود لكي يبلغوا القبائل بأنه باستطاعتهم استئناف التجارة مع الكويت . ولكن ظهر تشدد بعض الحضور فقد اوضح شملان بن سيف ان الصداقة مع ابن سعود أمر مرغوب فيه ولكنهم لا يقبلون اعادة التجارة معه على حساب عوائد جمرك الكويت ويبدو ان الحضور ارادوا التفكير بتلك المقترحات والشروط ولذلك لم يبد احد أي تعليق واستقر الرأي على الاجتماع في اليوم الثاني وذلك لكي تتاح الفرصة لمشاركة باقي التجار ، فوافق الشيخ أحمد الجابر ، وغادر الاجتماع ، بينما ظل التجار والشيخ عبد الله السالم يتداولون في الامر ، عندئذ أعاد الشيخ عبد الله السالم رأيه السابق وحاول اقناع الحضور بالموافقة عليه .

رأي الشيخ يوسف بن عيسى .

كان الشيخ يوسف يحاول اقناع الحضور بالموافقة على ان يكون الشيخ عبد الله وكيلا لابن سعود وقال للحضور « انهم لن يطمئنوا الا اذا اختاروا الشيخ عبد الله السالم وكيلا وايدوه تماما »(٧) ومن الجائز أن تكون الاسباب التي جعلت الشيخ يوسف يؤيد مقترحات الشيخ عبد الله السالم هي رغبته في أن تتجنب الكويت نتائج توتر واضطراب العلاقات مع ابن سعود فهي لا تزال تعاني من نتائج معركة حمض والجهراء ومؤتمر العقير سنة ١٩٢٢ الذي سلب الكويت ثلثي أرضها التي اعترفت بها الاتفاقية الانجليزية التركية في يوليو سنة ١٩١٣ ، ثم ان ثقته بالشيخ عبد الله السالم ايضا كانت كبيرة كما أن جمرك الكويت في ذلك الوقت وهذه قضية هامة كان يعاني من بعض السلبيات والمشاكل وعدم الدقة احيانا في تقدير الرسوم الجمركية وبحاجة الى اشراف دقيق والمقترحات الجديدة تتيح الفرصة للشيخ عبد الله السالم كي يشرف عليه .

وأوضح الشيخ يوسف للحضور ان ابن سعود طلب ان يكون الرسم ٤ ./. وأن يعين في الجمرك عمال جدد غير السابقين وان « يكونوا أهل امانة ويشرف عليهم رجل مهاب(٨) .

استمر عقد الاجتماعات وتبادل الآراء والمقترحات بين حاكم الكويت والتجار ، ففي الاول من يوليه ١٩٢٣ اجتمع عدد من التجار في منزل حمد الخالد للتداول في الأمر ، وقد اكد الشيخ يوسف على موقفه السابق المؤيد والمساند لموقف الشيخ عبد الله السالم وقال للحضور « انهم لن يرتاحوا حتى يتم الاتفاق على هذه الشروط واعادة فتح التجارة ، وان الامر الوحيد الذي امامهم هو جعل عوائد التصدير ٤٠/٠ لكل شيء ، روبية واحدة على كل كيس أرز حسب النظام القديم لجمرك الكويت ، والاعتراف بالشيخ عبد الله السالم وكيلا لابن سعود يجمع الرسوم الجمركية على السلع المصدرة الى نجد وله مطلق الحرية في كل الامور المتعلقة بالصحراء بما فيها الاحتفاظ بالسجلات وعوائد التصدير الى نجد ، فيما عدا السلع المتجهة الى الزبير ، وغيرها من الاراضي العراقية ، والسلع التي تخص اهالي الكويت ، ثم يعطيها لابن سعود كل ستة شهور ، وبعد ان انتهى الشيخ يوسف من كلامه ابدى معظم الحاضرين موافقتهم ، فحرر الشيخ يوسف مذكرة تتضمن الامور التالية :

(١) ــ ٤٠/٠ عوائد التصدير .
(٢) ــ اعادة فتح التجارة .
(٣) ــ تخويل الشيخ عبد الله السالم في الامر .

ولكن لم يوافق على هذه المذكرة شملان بن سيف وحمد الصقر فقد كانا يعتبران المسألة سياسية تخص حاكم الكويت وحده ولا يحق لهم التدخل فيها ولقد ايدهما واحد أو اثنان من الحضور . وكان رأي شملان باختصار انه يرفض ان تكون رسوم اهالي نجد في الكويت ويرى ان الحكومة البريطانية تسعى الى عقد هذا الاتفاق والموافقة على الشروط والمقترحات التي حملها الشيخ عبد الله السالم لانها تنوي التوقف عن اعطاء ابن سعود المبلغ الذي كانت تدفعه له كمساعدة وبالتالي فهي تريد حلا للمشكلة على حساب تجار الكويت ، كما كان يرى ان نتيجة « استمرار ابن سعود في موقفه ستكون سيئة على اهالي نجد ، وان تمسك الكويت بموقفها سيؤدي الى رجوعه عن قراره أو أن تنتهي المسألة بعده » واقترح ان يكون لابن سعود مركز في الصبيحية يتقاضى هناك من رعاياه ما يريد منهم(٩) .

ورغم وجود بعض المعارضين الا ان مذكرة الشيخ يوسف لاقت القبول فقد وقع عليها سبعة عشر من الذين حضروا الاجتماع ومن ثم سلمها الشيخ يوسف الى حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر مساء نفس اليوم ، فتداول الشيخ أحمد الجابر الامر مع شملان بن سيف وحمد الصقر وأبدى عدم قبوله لاقتراح ان يصبح الشيخ عبد الله السالم وكيلا لابن سعود .

وفي الثامن من يوليه اجتمع حاكم الكويت مع عدد من التجار والوجهاء هم : شملان بن سيف ـــ الشيخ يوسف بن عيسى ـــ حمد الخالد ـــ حمد الصقر ـــ وأحد أعضاء الأسرة الحاكمة الذي أبدى عدم موافقته على السماح لابن سعود بأي شيء في الكويت ولكنه لا يجد ضررا من منحه مبلغا من المال اذا اراد ذلك على ان يتم ترتيب الامر عن طريق الحكومة البريطانية .

كانت المعارضة تتركز حول عدم اعطاء أو افساح المجال لاي نفوذ لابن سعود ، وكان رأي حمد الخالد تحديد مقدار ٠٫٠٤ عوائد التصدير وارسالها لابن سعود بواسطة الشيخ عبد الله السالم وان يتم ذلك على سبيل التجربة لمدة عام بحيث تحتفظ الكويت بحق عدم الاستمرار اذا ثبت ان ذلك امر غير مرضي وليس ذا فاعلية ، وكان بذلك يؤيد رأي الشيخ يوسف بن عيسى ، على أية حال فقد انقسم الحضور ، فكان رأي حمد الصقر الذي كان يعترض على افساح المجال لاي نفوذ لابن سعود أنه لا مانع من اعطاء ابن سعود نقودا تخرج عن كونها عوائد جمرك وان تستمر المحاولات معه من أجل التوصل الى اتفاق لاعادة التجارة بين البلدين .

ويبدو أن الشيخ يوسف بعد ان حرر المذكرة وطرح وجهة نظره بصراحة فضل عدم التدخل وترك الأمر للحاكم قائلا أن الشيخ أحمد الجابر يعرف ماذا يفعل . عندئذ انهى الشيخ أحمد الجابر الاجتماع على أن يدعو لاجتماع قادم بعد يومين(١٠) ، وبالفعل تم الاجتماع في العاشر من يوليو وقد أكد خلاله حمد الخالد على ضرورة الأخذ بالمذكرة التي أعدها الشيخ يوسف والتي وقعها عدد من التجار ، كما أكد الشيخ يوسف على موقفه السابق واقتناعه بالمذكرة وتأييده لما قاله

حمد الخالد ، خصوصا وان الشيخ يوسف قبل اعداد تلك المذكرة طرح على التجار ما تتضمنه من مقترحات .

وانفض الاجتماع دون التوصل الى حل وموقف موحد بهذا الشأن وبخصوص المشكلة بشكل عام .

وفي المساء ارسل حاكم الكويت الى الشيخ يوسف وتباحث معه بشأن المشكلة ثم طلب منه أن يعد مسودة رسالة توجه لابن سعود ، وبالفعل أعدها الشيخ يوسف وسلمها للشيخ أحمد الجابر في اليوم التالي[١١] ، وبعد أن ادخل عليها بعض التغييرات ارسلها الشيخ أحمد الجابر بواسطة مندوبه « الشمري » ، الى ابن سعود ، وقد حرص الشيخ أحمد الجابر على أن يوفد سكرتيره « ملا صالح » الى الشيخ يوسف لكي يبلغه بان الرسالة التي اعدها ارسلت الى ابن سعود ولكن بعد ان تم اجراء التغيير البسيط عليها فبدلاً من « سيما عما اقترح عليكم الاخ عبد الله » أصبحت «سيما عن التسوية التي عملتم مع الاخ عبد الله ». وتعديل آخر فبدلا من « ان الشروط بطيه وجل القصد منها دوام المحبة كيلا يجرى بيننا خلاف ». جاءت الجملة على النحو التالي « نحن نحب أن تكون المسابلة بطريقة معلومة والقصد دوام المحبة فاذا جنابكم يأمر نقدمه لكم » ويقول الشيخ يوسف عن الرسالة التي أرسلها الشيخ أحمد الجابر أنها « تتسم بالمماطلة ولكن باسلوب حسن »[١٢] .

وهكذا ظلت المشكلة بين أخذ ورد بين الكويت والسعودية وبريطانيا ، ودارت مراسلات وجرت مباحثات وطرحت الحلول والمقترحات وتشدد ابن سعود أمام موقف الكويت الرافض لطلباته السابقة وفرض ضريبة « المطرحانية » ، على سفن الغوص الكويتية التي تأتي الى ميناء الاحساء ، كما ازدادت غارات القبائل النجدية على الحدود الكويتية ، وفي الثلاثينات أيقن ابن سعود ان استمرار المشكلة لم يؤد الى انتعاش موانئه كما كان يهدف ، ولم يحقق من ورائها أهدافه ولم يجعل الكويت تغير موقفها الرافض لمطالبه ولذلك تبودلت عدة مراسلات وجرت مباحثات بتدخل بريطاني اسفرت عن عقد ثلاث اتفاقيات في ٢٠ ابريل ١٩٤٢ وهي

اتفاقية تجارة وصداقة وحسن جوار وتسليم المجرمين .

وقد نظمت المادة الاولى من الاتفاقية التجارية قوافل التجارة من الكويت الى السعودية ، بحيث تحمل كل قافلة بيانا من ادارة جمرك الكويت بالبضائع التي تحملها ، وكان حجم القافلة كما حددته الحكومة السعودية يشتمل على سيارة واحدة أو ثلاث دواب ، وتم تحديد الاماكن التي يجب على القافلة ان تمر بها . من جانب آخر ارادت السلطات السعودية مراقبة القوافل للحصول على الجمرك المطلوب منها ، ورفض الشيخ أحمد الجابر وضع قيود على التجارة أو المسابلة النجدية الى بلاده .

هذا ولقد سمحت المادة التاسعة لرعايا البلدين حرية الدخول الى أراضي البلد الآخر بغرض المسابلة أو أي هدف آخر مشروع دون الحصول على تصريح سابق ، ولكن على رعايا السعودية المتوجهين الى الكويت الحصول على ما يثبت شخصيتهم من الجهات الرسمية السعودية وبالتالي تقوم السلطات الكويتية بابلاغ وكيل ابن سعود في الكويت باسماء هؤلاء الاشخاص وعشائرهم وما يحملون من الكويت(١٣) .

هوامش

(١) - I-O R/15/1/561 - Telegram from political agent- Kuwait to Baghdad- No 169-11-oct-1972.

(٢) - I-O R/15/1/561-Telegram from political agent to- Baghdad- copy by post to Bushire- No 73/ 5-1st May 1923

(٣) - I-O R/15/1/617- Telegram- from political- kuwait - copy by post to Bushire to highcoma; Baghdad No 67/5-Dated 25th April- 1923,

(٤) - I-O- R/15/1/6/7- political agency- kuwait- 16th May 1923.

(٥) - I-O R/15/1/561- British Residency and consulate general Bushire 20 June- 1923- Najd customs collections of kuwait.

(٦) - I-O R/15/1/651- political agency kuwait- 7th July- 1923 to the Hon'ble political resident in the gulf - Bushire.

(٧) I-O R/15/1/651- Political agency kuwait- 7th July- 1923 to the Hon'able political Resident in gulf- Bushire.

(٨) سيف الشملان ــ من تاريخ الكويت ــ ص ٣٠٦ .

(٩) سيف الشملان ــ المرجع السابق ص ٣٠٦ ــ ٣٠٧ .

(١٠) - I-O R/15/1/561- political Agency- kuwait 12th July-1923- To political resident in the gulf. Bushire.

(١١) - Ibid

(١٢) سيف الشملان . المرجع السابق ص ٣٠٤ ــ ٣٠٥ للاسف لم نعثر على الرسالة التي أعدها الشيخ يوسف .

(١٣) د. نجاة عبد القادر ــ التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين . ص ١٠٦ ــ ١١٠ .

الفصل السادس

دور الشيخ يوسف في الحياة العامة

مجلس الشيخ يوسف

عرف المجتمع الكويتي منذ القدم المجالس والديوانيات حيث يجتمع الرجال لتجاذب أطراف الحديث ومناقشة مختلف الموضوعات والقضايا ، واذا كان صاحب الديوانية من علماء الدين والرأي تتحول الى مجلس علمي ، وفي الكويت الكثير من تلك المجالس المعروفة وفي مقدمتها مجلس الشيخ يوسف ، وقد سلف القول انه كان رجل دين يهوى المطالعة والبحث في علوم الدين الاسلامي والأدب والشعر والتاريخ ولم يحدث ان نازعته نفسه يوما أن يترك العلم ، وبعد عودته من رحلته العلمية افتتح المدرسة المتواضعة التي تحدثنا عنها ، الا انه لم يكتف بها بل كانت ديوانيته حتى قبيل وفاته مقرا يلجأ اليه رواد العلم حيث توجد مكتبة فيها مختلف المصادر في الفقه الاسلامي والتاريخ والأدب واللغة ، والمجلات المتنوعة كالمقتطف والهلال واللطائف والاهرام والسياسة والكشكول وغيرها من المجلات والمؤلفات المعاصرة ، وكان مجلسه مدرسة يسمع فيها الحضور الاجوبة على كل الاستفسارات الدينية والاجتماعية ، وكان الشيخ يوسف يجيب رواد مجلسه وتلاميذه ويرعاهم سواء اولئك الذين قدموا من داخل أو خارج الكويت .

وكان الشيخ يوسف فقيها يميل الى البحث والتقصي ويشجع رواد مجلسه على القيام بذلك ، فيقول الاستاذ بدر خالد البدر انه عندما كان يدرس في المرحلة الابتدائية في البصرة في العشرينات من هذا القرن ، كان يحرص دائماً في الاجازة الصيفية على التردد على مجلس الشيخ يوسف . وهناك كان يتلقى دروسا في الفقه على يد الشيخ يوسف ؛ كما كان يطالع كتابه الذي يحمل عنوان « المذكرة الفقهية في الاحكام الشرعية» ويقول ان من بين الذين كان يشاهدهم في المجلس

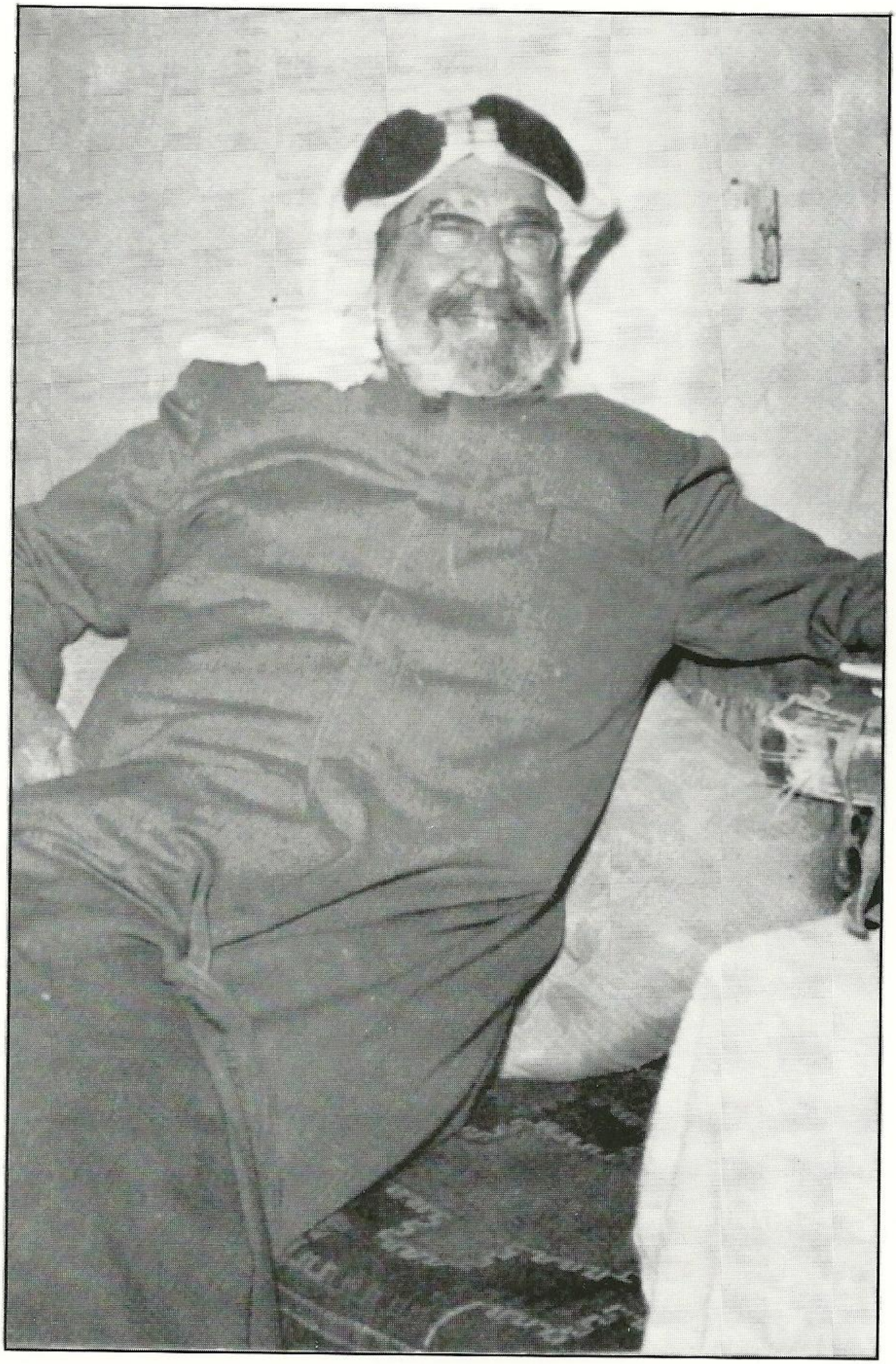
الشيخ عبد الله السالم ولي العهد آنذاك ، ويضيف الاستاذ بدر الخالد ان جلسات الشيخ يوسف كانت بمثابة ندوات علمية تعطى فيها دورس في الفقه والحديث والشعر والأدب والنحو ، كما كانت تدور فيها احاديث في شتى الموضوعات والقضايا التاريخية والادبية والسياسية وتبدأ الجلسة بعد صلاة العصر بالاضافة الى جلسة صباحية تعقد قبل ذهاب الشيخ يوسف الى محله في السوق .(١) .

ويقول الاستاذ عبد الرزاق البصير وكان أحد رواد مجلس الشيخ يوسف أنه كان يذهب الى المجلس في اواخر الثلاثينات (١٩٣٩) وكان يستمع الى دروس من الشيخ يوسف حيث يقوم احد طلاب العلم بالقراءة من صحيح البخارى وبعض الكتب التاريخية مثل فجر الاسلام وضحى الاسلام . ثم تبدأ المناقشة .(٢) .

ويضيف احد تلاميذ الشيخ يوسف ايضا وهو الاستاذ (محمد محمد صالح) انه كان يقصد هو وبعض الشباب مجلس الشيخ كل صباح لتلقي الدروس عند الشيخ الذي كانت له طريقه مثلي في التدريس فكان يقرأ عليهم المراجع المعروفة مثل الفية ابن مالك وبعض كتب الفقه واللغة .(٣) .

ويعد مجلس الشيخ يوسف من أفضل المجالس كونه رجل دين من المؤمنين بالتجديد ، وكان يتيح الفرصة للشباب الالتقاء بكبار السن ويقول الاستاذ عبد السلام شعيب ان الشيخ يوسف كان نعم الاب والمرشد والمربي ، كان يجلس في الصباح وبعد الظهر وبعد المغرب كانت ديوانيته تمتلىء بالشباب والكبار وكانت الاحاديث تتناول كل الموضوعات التجارية والسياسية والدينية وكذلك الموضوعات الادبية . ويقول ان « هذه الديوانية كانت المحل الوحيد الذي نحصل فيه على الجرائد اليومية والمجلات الشهرية والاسبوعية والكتب الدينية والأدبية » .(٤) .

ومع تقدمه في السن أصبح يقضي معظم أوقاته في منزله في السالمية وكان يبدأ يومه عند الفجر بقراءة القرآن الكريم حتى الساعة الثامنة صباحا ، حيث يبدأ بمراجعة القضايا التي ترسلها اليه محاكم الكويت ويستمر في مراجعتها الى الساعة



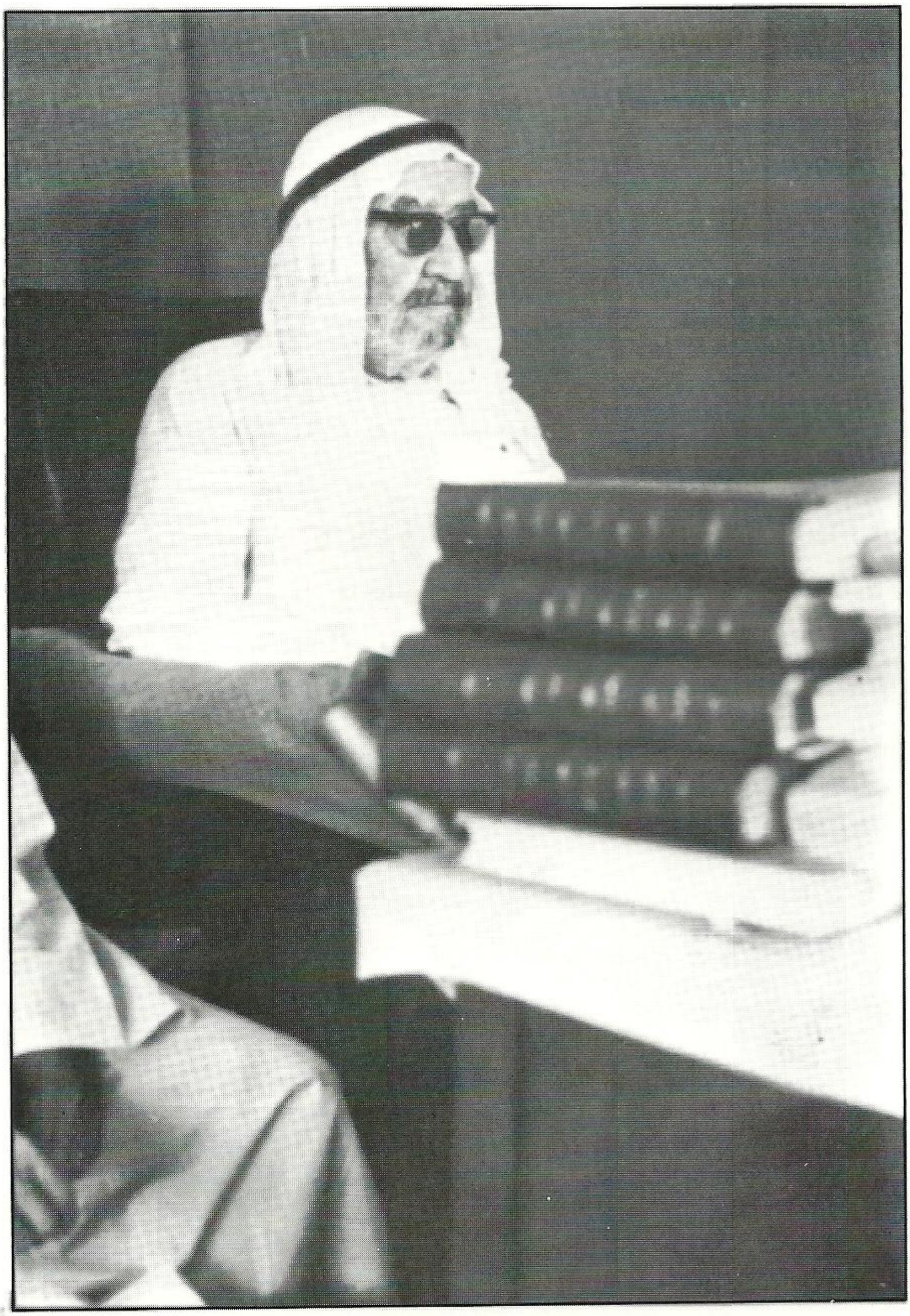
الحادية عشرة ظهرا وفي الساعة الرابعة بعد الظهر يعود مرة أخرى إلى قراءة القرآن الكريم ودراسة الأحاديث النبوية الشريعة والفقه ، وكان يخصص بعض الساعات في يوم الاثنين من كل اسبوع لزيارة اصدقائه القدامى من التجار وغيرهم في مدينة الكويت .(٥)

هذا مع عدم انقطاعه عن تخصيص ساعات لرواد مجلسه عصرا وللمطالعة العامة ، كان ذلك في بداية الخمسينات ، ولم يتغير حاله في اواخر الستينات ، فبعد صلاة الفجر يبدأ قراءة القرآن الكريم من الساعة السابعة صباحا ثم يستريح عند العاشرة صباحا ، وبعد صلاة الظهر الى العصر ينقطع لقراءة القرآن الكريم ومراجعة كتب التفسير ، ومن الثالثة والنصف الى الرابعة والنصف عصرا يجلس في ديوانيته لاستقبال رواد مجلسه ، أما جلسته العامة فكانت يوم الجمعة واستمر على هذا البرنامج اليومي الى ان مرض ثم توفي .

وهكذا فقد كان مجلسه مدرسة وحلقات علم في الوقت الذي كانت فيه الكويت تعاني من نقص في المدارس ، كما كان للدروس التي يعطيها اعمق الاثر في شباب المجتمع الكويتي آنذاك . وفي نفس الوقت لم ينقطع الشيخ يوسف عن طلب العلم والبحث ويعتبر نفسه من طلاب العلم حتى بعد أن كبر وتقدم في السن ففي عام ١٩٥٧ عندما سأله مندوب الاحصاء عن وظيفته أجاب عنه أحد الحضور بقوله الشيخ يوسف تاجر فاعترض وقال كلا طالب علم .

مؤلفاته :

كان للشيخ يوسف مشاركة لابأس بها في التأليف ، فقد كتب في المسائل الفقهية ، وفي بعض المجلات والجرائد مثل مجلة الكويت ومجلة كاظمة كما كانت له مشاركة فعالة في الكتابة عن الأمور الدينية ، أما اثاره العلمية فهي قليلة ، وعبارة عن المؤلفات التالية التي حرص على طبعها على نفقته الخاصة وتوزيعها بالمجان بهدف نشر الوعي والمعرفة .



١ ــ « المذكرة الفقهية في الاحكام الشرعية » وتناول بإيجاز [illegible] في
مذهب الامام الشافعي في معظم الاحكام وكذلك بقية مذاهب السنة ، ويعد مرجعا هاما وكما جاء في مقدمتها « هذه نبذة يسيرة في علم الفقه اقتصرت بها على مالا بد منه للعمل واعرضت عن بعض الأبواب والمسائل التي لا يعمل بها أو لا تقع في هذا الزمن » سنة ١٣٤٣ هـ .

٢ ــ « الملتقطات » (حكم وفقه وأدب وطرائف) نشر الجزء الاول في ١٣ ذي الحجة ١٣٦٧ هـ وتتكون من ستة أجزاء ، وهي عبارة عن معلومات متنوعة في الدين والفقه والحديث الشريف والادب والتاريخ والشعر ، جمعها من مصادر متعددة وعلق على بعضها كما تضم الملتقطات آراء الشيخ يوسف في كثير من المسائل الدينية والدنيوية وقد حرص على وضع المعلومات بدون ترتيب أو تصنيف موضوعي حيث انه اراد كما جاء في المقدمة « الا يختص القارىء بما يريده منها ويحرم من فائدة الاطلاع على ما قد يكون انفع مما أراد . » ولذلك يجد القارىء في الصفحة الواحدة موضوعا في الفقه وآخر في الأدب وقد كان هدفه من نشرها كما اشرنا من قبل تعميم الفائدة العلمية وليس الربح لذلك قام بتوزيعها مجانا على معارفه وأصدقائه ونظرا لاهميتها فقد اعادت وزارة الاعلام (الارشاد والانباء سابقا) نشرها في مجلد واحد في عام (١٩٦٥) .

٣ ــ « صفحات من تاريخ الكويت » كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة يتناول فيه الشيخ يوسف تاريخ الكويت منذ عهد الشيخ صباح الأول في القرن الثامن عشر الى وفاة الشيخ مبارك الصباح ١٩١٥ ، وتبرز أهمية الكتاب في أن الشيخ يوسف يتحدث عن وقائع وشخصيات عايشها بنفسه وقد نشر الكتاب في سنة ١٣٦٥ هـ وتمت طباعته في مصر .

شعره :

يقول الشيخ يوسف « أنا اقول الشعر ولست شاعرا »(٦) ، ولقد نظم الشعر في الصبا حين كان يتلقى الدروس عند الشيخ الحنيان ، ولكنه عزف عن الشعر

عندما وجد انه يلهيه عن دروسه الدينية ، ثم مالبث ان عاد اليه بعد ان قطع شوطا في الدراسة .

ومن الممكن القول ان الشيخ يوسف نظم الشعر في شبابه وكهولته ، وكانت اشعاره تعبر عن آرائه واحساسيه تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية وهو على أي حال يقول شعر الفقهاء .(٧) .

واليك نماذج من اشعاره :

قال يخاطب الله سبحانه وتعالى :

احنـــو إلـــيك برأسي تذلـــلاً وابتهالا
واخـــتشيك بسري مهابـــة وجـــلالا
وذلتـــي لك تحلـــو أمـــا لغيرك لا لا.

وقال أيضا :

حسبـــي اطـــلاعك سيـــدي بسريـــرتي وجلي أمـــري
فأنـــا المقصر في الـــورى أخفـــى الـــقصور وانت تدري
وأنـــا الـــذي البستنـــي حلـــلا سمت عن حصر شكـــري
فاتم جميـــلك يا جميـــل الصفـــح عن ذنبـــي ووزري(٨)

ومن قوله في الله سبحانه وتعالى أيضا :

لي سلـــوة في خلـــوتي وهجـــودي وتـــذللي في معبـــدي وسجـــودي
أشكـــو الـــيك وانت أعلـــم بالـــذي أشكـوه من ضعـف ومـــن تسهيـــدي
وتـرى ترقـــرق أدمعـــي في محجـــري وتسيـــل منها أدمعـــي كخـــدودي
من أجـــل خوفك سيـــدي لكننـــي في ظل عفـــوك يطمئـــن وجـــودي(٩)

ومن قوله في الرسول صلى الله عليه وسلم :

يارحمة للعـــالمين ويامنـــارا للهـــدى ياصاحب الخلق العظيم وبحر جود بالندى

ماذا يقول الواصفون بوصف حسنك مذ بدا   وبما يقول المادحون بشعرهم اذا شدا
فالله زادك بالثنا وكفى بربك مسعدا   اهدي اليك فريدة ويعوقها طول المدى
فعسى الأثير بحملها يكون عني منشدا   وعسى القبول يزفها اليك يا علم الهدى
شوق اليك يهزني مامر ذكرك بالندى   ويصدني عن هجرتي الم الم فاقعدا
فأقبل فديتك سيدي عذري وكن لي مر   وعليك يا خير الورى مني سلام تعبدا[١٠]

وله في القراءة :

ولي لذة عند القراءة لم أجد   بطول حياتي مثلها بنعيمي
وتلك لأني استفيد فوائدا   تريح فؤادي من شفاء همومي
فيارب زودني بحسن دراية   وزد ناظري في حدة العلوم[١١]

وفي الوطن والعدالة قال :

ان الكويت بلادي   من والد بعد والد
وانني لفخور   بساكنيها الأماجد[١٢]

وعن العدل في الكويت نظم هذه الأبيات :

العدل يبنى في الكويت منارة   لتضيء للانسان طرقا هادئة
وليحيا بانيها بحسن دراية   وسياسة واثارة متوالية
قل لي بربك هل رأيت حكومة   تبنى بناها في العصور الحالية
وترى الحياد مع السلام اساسها   تبنى عليه قواعدا مترامية
عنها خذوا وبها اقتدوا في شأنكم   ودعوا الخلاف بطيب نفس راضية
يامالك الاملاك احفظ عربنا   برعايتك ياذا المعالي السامية[١٣]

وقد شعر بالاسى والالم بسبب انتشار الخلافات بين المسلمين وظهور العديد من الاتجاهات السياسية بينهم والتي اضحت اهم سبب لتلك النزاعات وحول موقفه من الاختلافات بين القوميين والاشتراكيين والبعثيين تلك الانقسامات التي ظهرت في الكويت في الخمسينات من القرن الحالي : قال هذه الأبيات :

الله ربي والحنيفة ديني   هذا اعتقادي ومذهبي ويقيني

لست بقومي ولا اشتراكي   ولا شعوبي ولا افــات
ومنهجي قول النبي الأوحد   لا فرق بين أبيض وأسود
الا بتقوى الله فاحفظوها   وهذه التفرقة أنبذوها
فالقوم سادوا باختراع وعمل   ونحن في تفرقة وفي كسل
هذا وكنا معشر الاسلام   من خير شعب ساد بالأنام
واليوم صرنا خبرا كان   ومازلنا نسير في الهبوط للعما
فيا جميل الصفخ للعباد   انصر جمال النصر في البلاد
ووحد السبيل بين الرؤسا   لينصروا الحق على حق قداس
ووفق الشعوب جميعا للهدى   وحسبنا الله على من اعتدى(١٤)

وقال مستهزءاً برأي البعض في رجل الدين :

ان كان من يتبع دين الهدى   ويقتدي بسيد المرسلين
تدعونه الرجعى في دينه   فانني من اول الراجعين
فقلدوا لينين في هديكم   لأنه داعيه الملحدين

وله أيضا في الموضوع نفسه

رجل الدين ثقيل   بين أهل ورفاه
فلهذا خالفوه   بشراب ومذاق

وله أيضا في العادات الدخيلة على المجتمع مثل الدعوات المختلطة :

إذا دعيت فأت مع زوجتك   لتحضر المائدة العالية
وإن رماك الناس في سبة   فقل لهم ذي موضة جارية
جاء لنا الغرب بها تحفة   زينها الشيطان بالعافية(١٥)

وقال في الخمر ينصح المدمنين وغيرهم بالامتناع عن شربها

يا مدمن الخمر قل لي   هل في الجنون مسره
وهل إذا مت منه   سعادة أو مضره
تبيع عقلا وجسما   بخزية ومعره

وله في التقليد عن الغرب واخذ العادات السيئة منهم :

يا قومنا قد جاءنا   الغرب بكل ملعنة

والغرب يهدي للضلال		وهي فيه شنشنه
قلده ابناؤنا		لا ليكونوا خونه
بالسيئات قلدوه		لا بفضل الحسنة
فشربوا الخمر		وكل المسكرات معلنه
وجدهم في سكرهم		عربده ودندنه

وقال أيضا في نفس الموضوع هذين البيتين :

لا تقلد أجنبيا		بلباس أو خصال
واجتهد إن كنت شهما		تك محمود الفعال(١٦)

وكتب حول موضوع ازدياد عدد الوافدين الأجانب إلى الكويت وتأثيرهم على المجتمع الكويتي في الخمسينات فقال :

ضاع الكويتي في الكويت		بين الأجانب في السكن
وسرت إليه عدوه		منهم باضرار الوطن
ورشى الكويتي وارتشى		وهوى باطلاق الرسن(١٧)

وقال أيضا في مطامع الأجانب في الكويت :

للأجنبي مطامع في مالكم		فتنبهوا لا تخدعوا بطلاسمه
يبدي لكم نصحا أحيط بمكره		فإذا تكشف قال لست بعالمه(١٨)

أما عن مكانة الأم وتقديرها فقد قال :

هنيئا للذي لديه أم		يراها بالغداة وبالأصيل
يحييها بلطف واحترام		وعطف كالشفيق على العليل
يذل لرحمة ويطيع أنسا		لها مادام في دار الرحيل(١٩)

وعندما وصل الثمانين من عمره قال :

لا أرى بعد الثمانين		صحيحاً بالتمام
بل أراه يضرب الرقم		بتعدا السقام
ولهذا عن قريب		سيودع بسلام(٢٠)

وامتدح قاسم وعبد الرحمن آل ابراهيم لتبرعهما بمبلغ وقدره خمسين ألف روبية للمدرسة المباركية وقال :

هكذا الفضل وإلا فلالا … إن للفضل وللمجد رجالا
يعرف الفضل ذووه في العلا … فهم الأبطال ان رمت نزالا
قم بنا يا صاح نجلو ذكرهم … فيه الأرواح ترتاح ثمالا
ودع الاطلال والربع ومن … أخذ الالباب تيها ودلالا
ودع الأحور معسول اللمى … إن في اللحظ سهاما ونبالا
ودع الراح وحالات الهوى … فهي تكسوك جنونا وخيالا
ثم صرح لا (تكني) عنهم … فهم الانجاب فعلا ومقالا
آل ابراهيم هم أهل الوفا … هم نجوم بسما المجد تلال
وهم السادات هم أهل العلا … وهم الكهف إذا ما الخطب مالا
حملوا الدهر معال اثقلت … كاهل الدهر يمينا وشمالا
غير بدع أن تسامى فرعهم … أو ينل من ذروة الفضل منالا
أصلهم زاك تدلي زهرة … فلذا طابوا فروعا وفعالا
إن للمجد لهم في قاسم … علما يخفق جودا وجلالا
فهو المفضال والندب الذي … قد تسامى بمعال لن تنالا
تنشر الكتاب من بين الملا … ذكره المحمود فضلا وخصالا
لم يكن في الخير من جمعية … لم ترد من ذلك البحر زلالا
رسل الأنباء تروي بذله … في معال قد تفياها ظلال
لو سألت الدهر عمن قد مضى … هل رأى سمحا كهذا قال لا لا
غير أني لست أنسى ماجدا … فاضلا فاض جميلا ونوالا
غن يا صاح بتذكار له … فلقد طاب أبو عوف فعالا
باسم الثغر لمرتاد الندى … عنده كم حل من العسر عقالا
حبس النفس على نيل العلي … فيه تكسب عزا ودلالا
دمتم بالخير يا أهل النهي … ما بدا يرق بليل وتلال
وعليكم آل ابراهيم ما … طلع الفجر سلام يتوالى

من اديب ليس يرجـــوهم ندى بل ولا يرجـو من المخلـوق مالا[21]

وكتب من البصرة إلى صديقه المرحوم الحاج شملان بين سيف عندما كان الأخير في الهند هذه الأبيات :

وإني على ما فيـه من رونـق الزهـر وحسن ميـاه للفـرات به تجري
إذا طار شحـرور العـراق مغـردا يطير فؤادي نحوكم حيث لا أدري
وهـل أنت يا أنسي من الخلـق عائـد على مهجه ذائب من البعد والقهر[22]

وكتب في رثاء الصديق نفسه شملان بن علي بن سيف :

في ذمـة اللـه يا شملان ترحـال وصيب العفـو في مثـواك هطـال
في ذمـة اللـه ذاك الجسم أودعـه قبرا عليـه من الـرضوان اجـلال
في ذمـة اللـه روح بالجميـل سمت لها على الخير اقـدام واقبـال
إن ابعـدتك المنايـا بعـد الفتنـا فأنت في القـلب يا شملان نزال
فذا خيـالك في عينـي ألاحظـه وفي فمـي ذكـرك المحبـوب سلسال
مصيبتي فيك عظمـى لا تطـاق وأن أظهـرت صبرا فهـذا الصبر منهال
وإن تجلـدت بين النـاس محتسبـا ففـي فؤادي بركان وزلـزال
أشكو إلى الله نارا قد وهت جسدي وقودهـا بالحشي هم وبلبـال
أشكـو إلى الله بعـداً مالـه أمـد وفرقـة مالها حدو اجـال
عساه يجبر قلبـا بات متصدعـا مكـدر البـال لا يحلـو له حال
ويسكـن الراحـل المرحـوم جنتـه فهـو ملطـف ولـلاحسان فعـال
هذا وختمـي بما قلت مبتدئـا في ذمـة اللـه يا شملان ترحـال[23]

وقال في عبد الكريم قاسم الذي حكم العراق في أعقاب الانقلاب العسكري سنة ١٩٥٨ الذي أطاح بالملكية هناك وقد طلب بادعـاء باطـل ضم الكـويت سنـة ١٩٦١ ، ويقول الشيخ يوسف :

خدعـوك يا عبـد الكـريم بقـولهم أنت الـزعيم الأوحـد العـالم
والحق أنك أحمق بل جاهـل مستـكبر مستهتـر بل ظالم

وقال أيضا :

ومـــن كل أسواق العـــراق أتـــاوة ... وفي كل ما باع أمـرء مكسي درهـــم
ولم يقتنـع عبـــد الكـــريم بمكسهـــا ... فحاول أخذ الـغصب بالسفك للـدم
ولم يدر ان اللـــــه ليس بغافـــــل ... عن الظـــالمين الماكريـــن بمسلـــم
لهذا تراه خيب اللـــــه سعيـــــه ... ولم يستفـد غير الشقـاء والتنـدم(٢٤)

وقال في العدالة عندما لاحظ أن هناك بعض التجاوزات وعدم الالتزام :

مررت على العدالـة وهـــي تبكـــي ... فقـــلت علام تنتـــحب الفتـــاة
فقـــالت كيـــف لا أبكـــي وأهلي ... جميعـــا دون خلـــق اللـــه ما توا

وكانت تربطه صداقة متينة بالمرحوم الشيخ عبد الله السالم الصباح حاكم الكويت كما أشرنا من قبل وقد عرف الشيخ عبد الله السالم بزهده وحرصه على رفعه شأن الكويت فقال فيه :

اللـــــه أعلـــم حيث يجعـــل ... أمرنـــا في حكـــم ذاتك
فلـــذا ترانـــا سائـــلين ... اللـــه يفسح في حيـــاتك

وكتب يهنئه في عيد الاستقلال :

أهنـئك في عيـــد التحـــرر كلمـــا ... بدا طالـــع للشمس في كل مشرق
وأرجـــو لك التوفيـــق مادمت سالما ... تقـــوم بعـــدل في البـــلاد وتتقـــى
وأني أهنـــيء الشعب فيك لأنـــه ... يرى أنك الماء الـذي منه يستقـــى
فدم ابـــن سالم حافظـــا لكويتنـــا ... وحامـي حماهـــا من حدود ومرفـــق

وقال في الـمرحوم عبد الله عبد اللطيف العثمان الذي كان يحرص على إخراج الزكاة :

يكفيك عبـــد اللـــه أنك واحـــد ... في الجود في هذا الكـــويت فريـــد
ولئن حسدت على التفوق في النـدى ... إن اللـــئيم مع الكـــريم حسود(٢٥)

وعندما سكن السالمية في الأربعينات زاره العديد من رجالات الكويت وقد أطلق

عليها الشيخ أحمد الجابر « لوذان » ونظم الشيخ يوسف هذه الأبيات يقارن فيها بين لبنان والسالمية :

لوذاننــــا أحسن من لبنانكــــم ... بحرنــــا الساجـــــي يمد ويجزر
أمـــا الهوا فهـــو الشمـــال غالبـــا ... وفي الشتـــاء كل البـــلاد تمطـــر
تجد الفواكـــه وفـــرة ورخـــيصة ... تأتي لنـــــا من كل فج يذكـــر
لو ندرك الخلـــد لقلنـــا جنـــة ... ما تشتهي الأنـــــفس فيها يحضر

وكان الشيخ يوسف يستمع إلى الألحان والغناء غير المبتذل وعندما استمع لبعض الحان حمد الرجيب في الستينات أعجب بها ونظم هذين البيتين :

قد لذ لحنك باحمد ... وبـــه علـــوت بكـــل جد
فاسعـــد وانــــعش من نأى ... عنـــا ومـــن سكـــن البلـــد(٢٦)

وكتب يتمنى لو يوجد بين المطربين مثل اسحاق الموصلي الذي اشتهر بالغناء وكان في نفس الوقت عالما بالفقه والحديث وعلم الكلام واللغة والشعر :

هل مثـل اسحـاق فيكـم يا مغنينـــا ... وهـل لنـا مثـل يحيـــى في نوادينـــا
ليصلـح الحال بين العـرب اجمعهـــم ... ويجعـل الديـن حكمـا ماضيـا فينـــا
وتستـــريح من أسماء قد ابتـــدعت ... ففرقتنـــا كما أودت بماضينـــــا(٢٧)

وبمناسبة شهر رمضان نظم القصيدة التالية :

علــــيك سلام يا شهراننـــــــا ... رأينـاك معنـــا للزمـــان استندنـــاه
ويـا شهـــر لاتبعـــد فأنت وسيلـــه ... وذو قدم عنـــد الحبـــيب ادخرنـــاه
ويـا شهـر لا تبعـد لك الخير كلـــه ... فيـــــا رب محمـــــد عم ببرك أولاه
ويـا شهـر لا تبعـد لك الخير كلـــه ... فيـــا رب مطـــروح لجانـــبك آواه
ويـا شهـر لا تبعـد لك الخير كلـــه ... فرب محب تحت ظلك فاجــــــاه
عليك سلام الله شهـــر صيامنـــا ... وشهـر تلا فينـــا لدهـــر أضعنـــاه
تفـــوح ثغـــور الصائـــمين مساءه ... فلا ألمسك يحكيها بنفحـــه ريــــاه
عليك سلام اللـــه شهـــر قيامنـــا ... وشهـــرا به القـــرآن يزهـــو بقـــراه

تطيب به الاصوات من كل جهة ... وتعذب منه بالدراسة افواه

وقال في العيد :

خرج الناس يوم عيد وراحوا ... رافلين بزينة وسرور
وأرى العيد في رضى الله عني ... فهو عيدي وبهجتي وحبوري(٢٨)

وعندما مر بالقرب من جبل سلام الذي يقع بالقرب من مضيق هرمز تذكر أسفاره مع والده في سفينة شط الفرات فنظم هذه الأبيات :

بربك حدثني يا سلاما ... عن الآباء بالسفن القدامى
أهم أمثالنا في كل حال ... أو امتازوا بفضل قد تسامى
وهم مروا عليك وشاهدوك ... بطول حياتهم عاما فعاما
وسموك بهذا الاسم لما ... نجو من لج بحر قد تطامى
هلمي يا سلاما وأصدقيني ... ولا خوف عليك ولا ملاما
فقالت أنهم أوفى بعهد ... وأحنى للضعيف من اليتامى
وأكرم منكموا للضيف حتى ... تراهم ينحرون له الكراما
وأشجع منكموا أن صال عاد ... على الوطن العزيز وإن ترامى
وأرعى للجوار بموجبات ... من الدين الذي بالعدل قاما
وأنتم في علوم العصر أدرى ... تبو أتم بها أعلى مقاما
وفكرتم بتفكير صحيح ... أزال العشو عنكم والظلاما
ومزقتم ثياب الدجل حتى ... بلا نور الحقيقة واستقاما
غرزتم في شباب العصر علما ... فأيقظهم وقد كانوا نياما
فصاروا يسرعون له بجد ... وحادى الشوق زادهموا غراما
وفي المستقبل الآتي تراهم ... قضاة الحكم شرعا وانتظاما
لكم في ساحة الاحسان فضل ... يعم البائسين مع الأياما
وللمنكوب منهم خير عون ... سمي ذكرا وحاربه دحاما
وللمرضى اسنستم ملاجىء ... تزيل الهم عنهم والسقاما
وللأوقاف أسديتم جميلا ... لتعمير المساجد واستداما

وأمـــوال اليـــتيم حفظتوهـــا   وأنشدكم بيـــيت للقدامـــا
فريش منكمـــوا وهـــواى معكـــم   وإن كانت زيارتكـــم لمامـــا[٢٩]

آراء الشيخ يوسف في بعض المسائل الدينية :

من المعلوم أن مصادر التشريع الاسلامي هي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والاجماع ، ويقصد به اجماع أو اتفاق عدد من المجتهدين من الفقهاء المسلمين في عصر من العصور على حكم واقعه من الوقائع أو مسألة من المسائل ، ثم القياس وهو الحاق أمر لم ينص عليه في أحدهما لاشتراكهما في علة الحكم .[٣٠]

الشيخ يوسف فقيه شافعي ، يرى أنه من الخير والأفضل دراسة النصوص كلها ثم دراسة الأقوال الفقهية عن الأئمة الأربعة المشهورين ، ولكن أيضا يجب دراسة الأقوال الفقهية لغيرهم من الفقهاء وعن الخوارج والزيدية والأمامية وغيرهم ولكنه يشترط أن تكون مثل هذه الدراسة المقارنة حرة طليقة بحيث تتيح لكل مسلم أن يتخير ما يحب ويطمئن إليه قلبه ، وكان يرى أنه يحق لأي باحث أن يستريح إلى أي اجتهاد مادام مضبوطا بقيود محكمه من أصالة النظر ورحابة الادراك « وكان الشيخ يوسف يؤثر تلقي الأحكام من مصادر التشريع الأولى كما يرى ضرورة الاطلاع أولا ومباشرة على النصوص الأصلية ، والبعد عن مطالعة المتون التي ألفها في العصور المتأخرة بعض الفقهاء المذهبيون ، ولكن في نفس الوقت لا يدعو إلى أن يغمط الأئمة السابقين ولا يستهان بجهدهم وقدرهم إلا أنه لا يبيح اعتبار فقههم مقابلا لفقه السنة ، فهو يقول « إن هؤلاء الرجال أقاموا علمهم أولا وآخرا على دعائم من السنن والنصوص بيد أنهم أعطوا انفسهم حق الترجيح والموازنة ، ورد ما لايتفق مع القواعد العلمية التي أطمأنوا إليها في الفهم والقبول »[٣١] . فهو يرى أن بعض كتب الفقه تخلو من الحيل وفروض المسائل كما أنها تتصف بسوء التعبير في المسائل الجنسية ويتألم بسبب اتهام من ينتقد هذه الكتب بالزندقة بينما يكون هدف الناقد هو بيان الحق الذي هو أكبر من هؤلاء الفقهاء .[٣٢]

يحد من الاجتهاد الذي كان يدعو إلى تركه مفتوحا حاثا الناس على ضرورة التعرف على المذاهب الأخرى غير مذاهب السنة الأربعة المعروفة بل أيضا التعرف على المذهب الزيدي ، أو الاثنى عشر ، ويقول بهذا الصدد « إن مثل هذه المذاهب تمثل نتاج العبقريات الاسلامية في ميدان التقنين والتشريع والاجتهاد ، وإن لها من الآراء التشريعية الخالدة العميقة ما يعد مفخرة من مفاخر الاسلام » ويعطي مثالا على ذلك مذهب داود الظاهري(٣٣) ــ ومذهب الأوزاعي ومذهب الليث بن سعد ومذهب الأباضي .

وكان الشيخ يوسف يستنكر قول بعض « المتفقهة » الذين إذا خالفهم أحد في مسألة فقهية ليس عليها دليل قالوا إن هذه مسألة استقر عليها الاجماع ، دون أن يحيطوا بجميع جوانبها ، ويرى أن الاجتهاد الاسلامي قد أصابه ضرر شديد عندما احتبس داخل السجن المذهبي الضيق وعندما أزرى به التعصب لآراء مجتهد واحد(٣٤) ــ ونظرا لما لاقفال باب الاجتهاد من أثر سلبي على حياة المسلمين وكونه من أهم عوامل جمود الفكر ، فإن الشيخ يوسف كان يدعو إلى التمسك بالاجتهاد ولكن لم يكن يدعو إلى ترك بابه مفتوحا لمن ليس له دراية في الفقه .

ولكنه في الوقت نفسه كان يرى أن الشروط الواجب توافرها في المجتهد كما اشترطها وجاءت في كتب الأصول شروط صعبة تسد باب الاجتهاد ، ويؤكد على ذلك حين يتساءل هل الرسول صلى الله عليه وسلم لما أرسل معاذا إلى اليمن كان معاذ عارفا بهذه العلوم حيث قال « أجتهد » أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم علم أن معاذا ثقة وبصير بالحق فوكل الأمر إليه اعتمادا على صلاحه ومعرفته للحق ،(٣٥) ويعتقد الشيخ يوسف أن المسلمين لو سلكوا منهج وطريق السلف الصالح في القرون المفضلة قبل أن يسد باب الاجتهاد لما حكم بالقانون في أغلب البلاد ، ويقول أن السلف الصالح كانوا إذا حدث أمر لم يجدوا له نصا في كتاب الله سبحانه وتعالى ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم اجتمعوا وتشاوروا في هذا الأمر معتمدين على أصول الدين العامة كقوله سبحانه وتعالى يريد الله بكم اليسر وكقوله ما جعل عليكم في الدين من حرج ، وفي الحديث الشريف « لا ضرر

والمصلحة ، ولكن مع ذلك كما يقول الشيخ يوسف فإن الفقهاء سيما في القرون الوسطى غلب عليهم الجمود فلم يفكروا في التطور في المعاملات تبعا لتطور الزمان كما فعل الغرب ، بل صار جل تفكيرهم الراتب والاستيلاء على الأوقاف « وبالنسبة للقوانين فإنه يرى أن حكم الله سبحانه وتعالى هو العدل الموافق للحق فإذا وافق القانون هذا الحق فهو حكم الله وإذا خالف الحق فهو حكم الشيطان وإن صدر عن مسلم باسم الشرع لأن الشرع ينزه عن كل ظلم » .

ويرى أن اثم هذه القوانين على الفقهاء عامة وعلى الأزهر الشريف خاصة لأنه المرجع في الدين الاسلامي لجميع المسلمين .(٣٦)

ولذلك فقد كاتب الأزهر الشريف عدة مرات بخصوص رأيه في ضرورة استمرار الاجتهاد وكان يؤكد أن الكثير من الأمور تستجد في الحياة والتي يستوجب الاجتهاد من جديد ، خاصة وأن الكتب التي اعتمد عليها العلماء الذين سبق واجتهدوا والتي كانت متوفرة لديهم محدودة وهم اجتهدوا لعصرهم « ثم أن الأحكام تتغير بتغير الزمان فالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد اسقط حد السارق في عام المجاعة وأسقط حد الخمر في الحرب خوفا من أن يفر الشارب إلى الأعداء ، وهنا يتساءل الشيخ يوسف هل من قضاتنا من يراعي المصالح ؟ ويجيب كلا بل هم على حد قول الفتاش الذي يصيح بأعلى صوته فتاش فتاش وحين سأله رجل بماذا تفتش أجابه أفتش بما هو مكتوب بهذا الكتاب وأنت حظك ونصيبك » .(٣٧)

كان الشيخ يوسف كما سبق وأشرنا متأثرا باراء ابن تيمية الذي كان يرى أن « التقليد الباطل المذموم هو قبول قول الغير بلا حجة » ويستشهد بالآية القرآنية الكريمة « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباؤنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ويقول أن من تقلده يجوز أن يكون مصيبا ويجوز أن يكون مخطئا دون أن يعلم ذلك ، وبالتالي فلا يشعر بالثقة والطمأنينة ، أما إذا علم أن مقلده مصيب كتقليد الرسول صلى الله عليه وسلم

او اهل الاجماع فقد قلده بحجة وهي العلم بانه عالم .

وأما تقليد العالم حيث يجوز فهو بمنزلة اتباع الأدلة المتغلبة على الظن كخبر الواحد والقياس ، لأن المقلد يغلب على ظنه إصابة العالم كما يغلب على ظنه صدق المخبر . »(٣٨)

عموما فإن الشيخ يوسف كان يكره ويرفض التضييق على المسلمين ويأخذ على بعض المتفقهين قيامهم باحراج المسلمين بالقول في التحريم ، فهو يرى أن كل شيء حلال إلا ما حرمه الله(٣٩) سبحانه وتعالى وقد لخص الشيخ يوسف مطالبه بهذا الشأن ورأيه في أكثر من رسالة وجهها إلى الأزهر الشريف الذي يؤمن بدوره الكبير في خدمة الاسلام واقترح عليه في مقال نشر في مجلة البعثة الكويتية سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٨) أن يضع الأزهر تفسيرا لكتاب الله يكون روحا لجميع التفاسير الاسلامية معتمدا على أصح ما ورد من أقوال المفسرين من جميع الفرق الاسلامية خاليا من أقوال أهل الكتاب ومن الخرافات الاسرائيلية ، يتمشى مع العقول ولا يخالف الواقع ولا يتكلف في تفسير ما غمض من الآيات الشريفة ، كما اقترح على الأزهر وضع كتاب يجمع الأحاديث النبوية الصحيحة على أن يكون خاليا من ذكر ما جرى بين الصحابة من الشقاق ومن التحامل على بعضهم أو من الأحاديث التي دست على الأمة الاسلامية أو تلك التي تخالف العقل والواقع . « كما اقترح وضع كتاب في الفقه يشتمل على العبادات ويستلهم جميع المذاهب الاسلامية مراعيا التيسير على العباد والاستنارة بما صح عن السلف الصالح قبل ظهور المذاهب والتعصب لها وأن يكون بعيدا عن التعصب »(٤٠)
وكان يقول لا يكفي لسد حاجة المسلمين أن تعتمد مشيخة الأزهر على الأخذ من كتب المذاهب الأربعة مع ما يتمشى مع العصر لأن الحوادث تتجدد بتجدد الزمان فإذن لابد من لجنة شرعية تنظر في المسائل المستجدة في المعاملات وغيرها وهي بدورها وعلى هدى أصول الدين الحنيف تحكم باجتهادها في تلك القضايا المرفوعة إليها على أساس العدل ومراعاة الصالح وتكون أعمال اللجنة مستمرة واقترح أيضا أن تقوم اللجنة بتدوين ما تقرره في كتاب تلحقه بكتاب الفقه الذي سبق واقترح

[illegible] .

كان الشيخ يوسف يؤمن أن الدين يسر وليس عسر ، ولكنه يرى أن المجتمع الذي يتجاوز حدود الشريعة الاسلامية مجتمع ينهار بسرعة .

وكان الشيخ يخشى على الدين الاسلامي من انتقادات الملحدين التي تحاول النيل منه ، خاصة مع ازدياد التيارات السياسية المتعددة في البلاد العربية والاسلامية واعجاب البعض بالفكر الشيوعي ولذلك كان يعمل باستمرار من اجل حفظ وصيانة الدين الاسلامي والمجتمع الكويتي العربي المسلم من التأثيرات الاجنبية .

أما بخصوص رأي الشيخ يوسف في بعض مسائل الأحوال الشخصية فنود أن نطرح رؤيته حول أهم تلك المسائل وهي الحضانة وسنتعرف إلى أي مدى كان الشيخ يوسف بنصف المرأة ويقف إلى جانبها فهو أول من طالب بتعليمها .

الحضانة :

المعروف أن للطفل منذ ولادته ثلاث ولايات الأولى ولاية التربية ، والثانية الولاية على النفس ، والثالثة هي الولاية على ماله إن كان له مال ، ولما كان الطفل في المرحلة الأولى بحاجة ماسة إلى رعاية وحنان الأم فإنه يكون تحت رعايتها ، ويروي أن امرأة جاءت إلى رسول صلى الله عليه وسلم وقالت : يا رسول الله هذا ابني كان بطني له وعاء وحجري له حواء وثديي له سقاء وأن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم « أنت أحق مالم تتزوجي »(٤١) ولكن كان الخليفة عثمان رضي الله عنه يرى أن الحضانة لاتبطل بالزواج وإلى ذلك ذهب الحسن البصري والامام ابن حزم الذي خالف رأي الأئمة الأربعة الذين يرون أن الحضانة للأم مالم تتزوج ، وكان ابن حزم يستدل بحديث أنس بن مالك الذي يقول أنه كان بحضانة أمه في الفترة التي كان لها زوج وهو أبو طلحة ، وكان ابن حزم يقول أن الحديث الذي استدل به الأئمة الأربعة وهو أنت أحق مالم تتزوجي

تتزوج .

أخذ الشيخ يوسف بهذا الرأي فهو يقول « ماذا تصنع الأم إذا كانت فقيرة وتريد من يقوم بنفقتها ؟ هل تترك الزواج لأجل حضانة ولدها وتعيش تستجدي الناس أو تشحذ ؟ وقد لا تدرك ما يسد حاجتها من الشحاذه ؟ فالاسلام هو دين الرحمة واليسر » ، ولذلك فإن الشيخ يوسف يأخذ برأي ابن حزم بحق الأم بحضانة الولد الصغير والابنة الصغيرة حتى يبلغا الاحتلام والحيض ، وسواء كانت الأم أَمه أو حره ، وتزوجت أم لم تتزوج ، رحل الأب عن ذلك البلد أم لم يرحل ، فلا يوجد نص صحيح يقرر سقوط حق الأم في الحضانة ، إذا تزوجت ، كما لم يأت نص بسقوط حقها إذا رحل الأب عن ذلك البلد ، ويقول الشيخ يوسف أن الله سبحانه وتعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ، والرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل من أحق الناس بصحابتي قال « أمك ثلاثا ثم آباك » ، كما استدل في رأيه بحديث أنس السابق ذكره .(٤٢)

ومن الأمثلة عن انصافه للمرأة تأكيده على أنه من حقوق المرأة المتزوجة أن يكون لها سكن مستقل وذلك لكي لا يطلع على عورتها أحد ، كما كانت نساء النبي صلى الله عليه وسلم مستقلات في بيوتهن ، ويرى الحصول على موافقتها للاقامة مع أهل الزوج .(٤٣)

لقد سبق أن أشرنا في صفحات هذا الكتاب إلى أن الدين عند الشيخ يوسف يسر وليس عسرا ، ويرى أن الأصل لكل شيء محلل مالم يكن هناك نص صريح بالتحريم ويطلب من المسلم أن يطلع على آراء الفقهاء المسلمين حول المسائل المتعددة التي ليس فيها نص صريح أو اجماع ومن ثم يختار ما يطمئن له قلبه ، وكان يدعو إلى استخدام العقل وعدم التقليد الأعمى ، ويحذر من نتيجة الحكم على شيء دون معرفة تامة وفحص دقيق ، لأن هذا الأسلوب هو الذي أدى إلى التشتت والخلافات ،(٤٤) ومن أهم القضايا بالنسبة له هو أن يفهم العامة حقيقة الاسلام وغاياته النبيلة .

رأيه في نشر الدعوة الاسلامية :

ينطلق الشيخ يوسف من قول الله سبحانه وتعالى « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » . صدق الله العظيم

فكان يدعو كل من يتصدى لهذه المهمة العظيمة أن يتحلى باللطف ومقارعة الحجة بالحجة بهدوء وأن لا يصيبه اليأس .

ويرى ضرورة أن يعرف الداعية لغة البلاد التي يتوجه اليها ، وأن يكون هناك دعاة في معظم أنحاء العالم وأن يستفيد الدعاه من وسائل الاعلام .

وينبه إلى ضرورة البعد عن العنف والشدة مع غير المسلمين بغير سبب شرعي لأن في ذلك مخالفة لمبادىء الاسلام ، فالله سبحانه وتعالى يقول : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين » . صدق الله العظيم

وفي الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم : أتت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مولاة بني هاشم فقال لها : أمسلمة جئت ؟ قالت لا قال أمهاجرة قالت لا فأخبرته أنها محتاجة فحث عليها بنو المطلب فكسوها وزودوها .

ويقول الشيخ ان القسوة مع غير المسلم بدون عذر شرعي تنفره من الاسلام .

ولم يكن الشيخ يهتم بالمظاهر فقد كان يقول ليس بالضرورة أن يكون الداخل في الاسلام له لحية ويلبس عمامه المهم أن يدخل الاسلام كل انسان حي .(٤٥)

وكان الشيخ يوسف ينبذ العصبية مستندا إلى الاية القرآنية الكريمة « يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . صدق الله العظيم

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ليس منا من دعا إلى عصبية .

فالله سبحانه وتعالى ينهي عن التفاخر بالأنساب ويقول الشيخ يوسف أن الكريم عند الله سبحانه وتعالى هو التقي وهو من اتقى الله وامتثل أوامره وتجنب نواهيه » .(٤٦)

وللشيخ يوسف رأي في قضية الخلاف المذهبي فهو يرى « أن الخلاف المذهبي قد أضر الاسلام أكثر مما نفعه ، وأن الخلاف بين الجماعتين بسيط ولكن « المعممين » من المتأخرين وسعوا شقة الخلاف ، وتجاوب معهم السواد الأعظم وصدقوهم بدون تمحيص أو نقد وإن اولئك كان يعنيهم أكل الدجاج وقبض ما تيسر من الدنانير » .(٤٧)

هوامش

(١) مقابلة مع السيد بدر خالد البدر أول وكيل لوزارة الارشاد والانباء (الاعلام) وأصبح سفيرا في وزارة الخارجية حتى عام ١٩٦٩م حين طلب احالته للتقاعد .

(٢) مقابلة مع الأستاذ الأديب عبد الرزاق البصير وهو من الادباء المعروفين في الكويت وله مؤلفات عديدة في الأدب وكذلك الكثير من المقالات المتنوعة .

(٣) كلمة عن دروس الشيخ يوسف كتبها الاستاذ محمد محمد صالح خاصة بهذا الكتاب ـــ أمين المكتبة الأهلية ثم المكتبة المركزية (١٩٣٦ ـــ ١٩٦٩) .

(٤) عبد الفتاح المليجي رجال وتاريخ ـــ الطبعة الاولى الكويت ١٩٧٥ ـــ ص ٢٤٦ .

(٥) Dr. Ali Abdel Moneim P- 141.

(٦) المقابلة التلفزيونية مع الشيخ يوسف .

(٧) الاستاذ عبد الرزاق البصير ـــ المقابلة . راجع الاستاذ البصير هذه النماذج من شعر الشيخ يوسف بن عيسى .

مندوب الاحصاء السيد ايوب حسين الأيوب .

(٨) الملتقطات الجزء الاول ص ٤٤ .

(٩) المرجع السابق جزء ٤ ص ٢٦٩ .

(١٠) الملتقطات جزء ٤ ص ٣١١ .

(١١) المرجع السابق جزء ٦ ص ٣٥٢ .

(١٢) المرجع السابق ص ٣٩٢ .

(١٣) الملتقطات الجزء السادس ص ٣٩١ ـــ ٣٩٢ .

(١٤) الملتقطات الجزء الخامس ص ٣٣٣ .

(١٥) الملتقطات الجزء الخامس ص ٣٥٢ ـــ ٣٥٣ .

(١٦) الملتقطات الجزء الخامس ص ٣٥٣ .

(١٧) المرجع السابق ص ٣٨٤ .

(١٨) الملتقطات الجزء السادس ص ٣٦١ .

(١٩) المرجع السابق ص ٣٩١ .

(٢٠) الملتقطات الجزء الخامس ص ٣٥٣ .

(٢١) الرشيد ـــ المرجع السابق ص ٢٨٨ ـــ ٢٩٠ .

(٢٢) الملتقطات الجزء الرابع ص ٢٥٧ .

(٢٣) الملتقطات الجزء الأول ص ٧٠ .

(٢٤) الملتقطات الجزء السادس ص ٣٥٩ .

(٢٥) الملتقطات الجزء السادس ص ٣٨٣ .

(٢٦) الملتقطات الجزء الخامس ص ٣٥٣ .

(٢٨) الملتقطات الجزء السادس ص ٣٩٧ .
(٢٩) الملتقطات الجزء الخامس ٣٢٢ .
(٣٠) د. سليمان محمد الطماوي ـــ السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة . وفي الفكر السياسي الاسلامي ـــ دراسة مقارنة ـــ الطبعة الرابعة ١٩٧٩ ـــ دار الفكر العربي القاهرة ـــ ص ٣٢٧ .
(٣١) الملتقطات ـــ الجزء الخامس ص ٣٤٥ .
(٣٢) المرجع السابق ـــ ص ٣٢٨ .
(٣٣) الملتقطات ـــ الجزء الخامس ص ٣٤٤ ـــ ٣٤٥ . داود بن علي بن خلف الاصبهاني هو أحد الأئمة المجتهدين في الاسلام وسميت طائفته بالظاهرية لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس ، وصاحب هذا المذهب ولد في الكوفة وسكن بغداد ٢٠٧ ـــ ٢٧٠هـ / ٨٤٦ـــ٨٨٤م .
خير الدين الزركلي ـــ الاعلام ـــ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ـــ المجلد الثامن ـــ الطبعة الخامسة ـــ آيار (مايو) ١٩٨٠ دار العلم للملايين بيروت ـــ ص ٣٣٣ .
(٣٤) الملتقطات ـــ الجزء الخامس ـــ ص ٣٤٥ .
(٣٥) الملتقطات ـــ الجزء الأول ـــ ص ٨٦ .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بما تقضي قال معاذ بكتاب الله قال الرسول صلى الله عليه وسلم فإن لم تجد قال بسنة رسول الله قال الرسول صلى الله عليه وسلم فإن لم تجد قال معاذ فبرأيي . السيد سابق المرجع السابق ص ٤٠٠ .
(٣٦) الملتقطات ـــ الجزء الخامس ص ٣١٨ .
(٣٧) الملتقطات : المرجع السابق .
(٣٨) مجموع فتاوي شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ـــ المجلد العشرون ـــ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢هـ ـــ مطابع الرياض ص ١٥ـــ١٦ـــ١٧ .
(٣٩) الملتقطات ـــ الجزء الثالث ص ٢٤٧ـــ٢٤٨ .
(٤٠) الملتقطات ـــ الجزء الثاني ـــ ص ٢٢١ـــ٢٢٢ .
(٤١) الامام محمد أبو زهرة ـــ الأحوال الشخصية ـــ دار الفكر العربي ـــ القاهرة ١٣٧٧هـ ـــ ١٩٥٧م ص ٤٧٤ .
(٤٢) الملتقطات الجزء الثاني ص ١٨٦ـــ١٨٧ .
في الكويت يحكم بسقوط حق الام في الحضانة إذا تزوجت .
(٤٣) الملتقطات ـــ الجزء الثاني ـــ ص ١٥٢ .
(٤٤) المرجع السابق ـــ ص ١٣٣ .
(٤٥) الملتقطات ـــ الجزء الأول ـــ ص ٣٠ـــ٣١ .
(٤٦) المرجع السابق ـــ ص ٣٣ .
(٤٧) المرجع السابق .

الخاتمة

تحدثنا عن الشيخ يوسف وتعليمه وكونه أول من سعى لنشر التعليم الحديث في الكويت واعتبره عملية اجتماعية أساسية في حفظ المجتمع وضمان سيره سيرا حسنا ، ورأينا كيف أنه من الداعين إلى التجديد والتأكيد على دور العقل وضرورة تحريره من الجمود ومن قيد التقاليد والأفكار التي تقف حائلا دون التطوير في مجتمع كانت الأمية متفشية فيه ، ولقد عرف الشيخ يوسف بأنه المصلح الاجتماعي الأول في الكويت سعى إلى ادخال اصلاحات كثيرة في مختلف المجالات فرأينا موقفه من الشورى والمجالس التشريعية ، ولقد بذل من جهده وصحته وماله الكثير من أجل الخدمة العامة ، وكان من أخلاقه الصدق والاقدام على المشاريع الخيرية ، يحب العدل ويتحلى بالجرأة في قول الحق ، محبا للناس مشاركا في احزانهم وأفراحهم يكرم ضيفه ويتسامح مع من يسيء إليه ، عرف بالصراحة ونقاء الضمير والبعد عن الرياء والنفاق، متواضعا قال عنه الشيخ المؤرخ المرحوم عبدالعزيز رشيد ما يلي: «هو في الحقيقة مصلح الكويت الفذ وقد فاق على ما سواه بمعاضدة المشاريع ماديا وأدبيا فنجده يبذل من ماله في سبيل إصلاحها ما يفوق بذل الكثيرين من مواطنيه أهل الملايين ويبذل ذلك من وقته النفيس ما يعادل بذله للمال، كل هذا قياما بحق الوطن المقدس». (١)

وقال عنه أيضا: هو في الحقيقة مدبر كل حركة إصلاحية في وطنه الكويت ورافع رايتها بيد صدقه وإخلاصه في شدته ورخائه وأبوها الذي عز أن يشاركه في عطفه عليها أحد من مواطنيه. لا يوجد مشروع في وطنه قام على دعائم البر إلا ولحضرته فيه يد ولا طريق من طرق الإحسان إلا وله فيه أثر وكانت نوافحه في كل ذلك تفوق نوافح سواه من أبناء جلدته وما كان بأكثرهم مالا ولا بأوسعهم ثروة وإنما هو الشعور بالواجب الذي تصامم عنه كثير من أبناء جنسه غادره يندفع في هذا السبيل مهرولا يبذل من راحته ووقته ويقدم إصلاح ما عهد إليه نظارته في الكويت من معاهد علمية وأدبية ودينية على إصلاح تجارته التي هي من أهم ضرورياته صادقة في معاملته مخلص في نيته بعيد عن الغش والخداع بلغ من سلامة الصدر أن كان موضع إعجاب كل من عاشره متين في آرائه ثابت على مبدئه لا يزعزعه عنه التهويل والضجيج ولا

تلين قناته فيه لغامز مادام يرى الحق فيما قال واعتقد(٢).

وقال عنه الشيخ عبد الله السالم الصباح :

لك الشكر يا رمز الوفاء على المدى ويا طوده العالي على المتسلق
لقد ملأ الاخلاص نفسا أبيه بجنبيك لم تعرف سبيل التملق
وكنت أبا عيسى إلى الخير هاديا تذود عن الأخلاق في كل مرفق
فلا زلت مختالا باكمل صحة تحلق من جو الهناء وترتقي

كان يكره الغيبة وكثيرا ما نبه رواد مجلسه إلى الابتعاد عنها ، فلم يكن يقبل أن يتم ذلك في مجلسه فيقول لمن يغتاب اذهب إليه وتحدث معه برأيك أما نحن فلا نريد أن نسمع »(٣) .

ومن صفاته أيضا التواضع وكره الغرور الذي يرى أن سببه هو جهل الانسان لنفسه فيقول « لو عرف الانسان أن أصله نطفه وآخره جيفه لما احتقر اخوانه وتكبر عليهم » كما لم يكن يستحسن مدح الانسان لنفسه إلا عند الضرورة فالله سبحانه وتعالى يقول « فلا تزكوا أنفسكم » ويرى الشيخ أنه فقط إذا دعت الحاجة إلى المديح فلا بأس لأن سيدنا يوسف عليه السلام مدح نفسه بقوله » أني حفيظ عليم »(٤) .

لم يكن يرد سائلا وكان برا بأهله وذوي قرابته ، وخدم الكويت بدون مقابل وكان بعيدا عن الأغراض الشخصية والأهواء وقد قدم الكثير من المساعدات المعنوية والمادية للأفراد والهيئات والمؤسسات الاسلامية داخل وخارج الكويت(٥) ولم يكن ينزل الكويت رجل علم إلا ويقوم بزيارة الشيخ ، وكان يميل إلى المرح والفكاهة البريئة ، ويقول كان الامام الشافعي رحمه الله يقول « من ظن أنه علم فقد جهل » ولذلك نجده متواضعا في العلم .

كان يكره المناظره ولا يشجعها ويعدها كمناطحة الثيران وأنها بدعه ما أنزل الله بها من سلطان . (٦)

ومن أقواله حول أكل أموال الناس قوله « إن من يأكل أموال الناس بالباطل كقاطع الطريق الذي يسلب المارة فلا فرق بين قاطع الطريق والوجهاء والأغنياء الذين يأكلون أموال الناس بالغش والدهاء » (٧)

ومنذ منتصف الستينات وبسبب كبر سنه قل نشاطه في بعض المجالات منها مثلا اعتذاره عن قبول عضوية رابطة العالم الاسلامي في عام ١٩٦٤ ولم يكن يملك القدرة على الانتقال أو السفر أو مجرد السير البسيط كما اشار في اعتذاره بالاضافة الى ضعف بصره (٨)

وفي يوم السادس من يوليه سنة ١٩٧٣ انتقل الشيخ يوسف بن عيسى رحمه الله إلى جوار ربه ، وقد مات الشيخ وهو في جلال الشيخوخة بعد أن قدم الكثير من صحته ووقته وماله من أجل وطنه وامته ، وبوفاته طويت صفحة فقيه شافعي معروف ومصلح اجتماعي ، مات فقامت الكويت تشيعه إلى مثواه الأخير ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

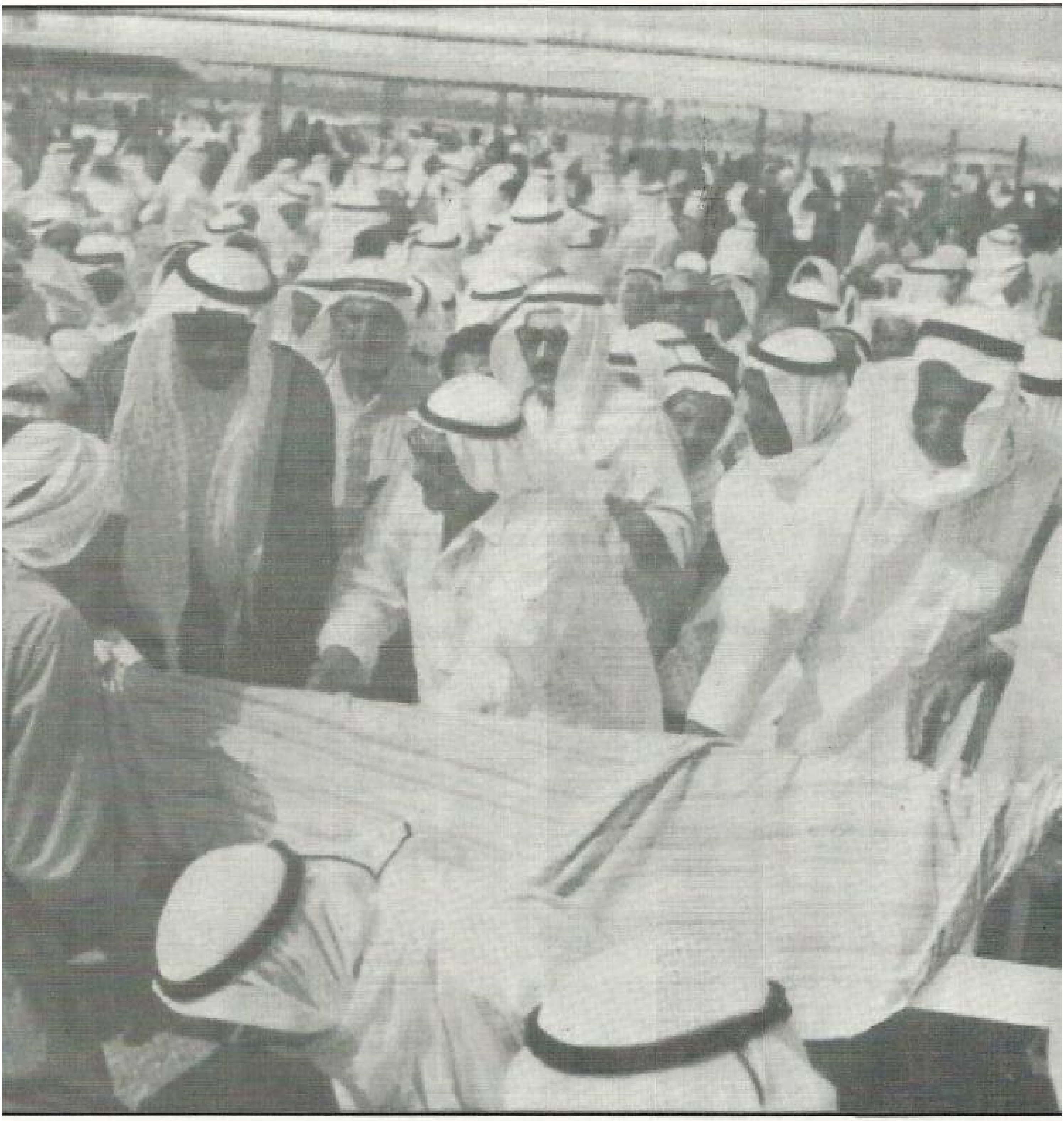
هوامش

(١) عبدالعزيز رشيد، المرجع السابق ص ٣٢٥ – ٣٢٦.
(٢) مجلة الكويت ، الجزء الثامن والتاسع شهر شعبان ورمضان ١٣٤٨ ص ٨١٠ أعداد مجلة الكويت من مارس ١٩٢٨ إلى مارس ١٩٣٠، دار قرطاس للنشر، الكويت ١٩٩٩].
(٣) مقابلة مع حمد يوسف العيسى ــ المحامي .
(٤) الملتقطات ــ الجزء الأول ــ ص ٦٥ــ٦٦ .
(٥) رسالة من جمعية مكتبة الزبير الاهلية ١٩٦٥/١٠/٣ مدرسة دار العلوم الدينية ــ مكة المكرمة ١٩٨٦/٩/١٥ .
(٦) الملتقطات ــ الجزء الثالث ــ ص ٢٤٦ .
(٧) المرجع السابق ــ الجزء الأول ــ ص ١١٨ .
(٨) رسالة من الشيخ يوسف الى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي ديسمبر ١٩٦٤ .



لصلاة على جنازة الشيخ يوسف رحمه الله يتقدمها سمو الأمير الراحل صباح السالم وسمو أمير البلاد الحالي الشيخ جابر
لأحمد وسمو ولي العهد الشيخ سعد العبد الله والشيخ عبد الله الجابر والشيخ سالم الصباح وزير الداخلية .





صور تشييع جثمان الشيخ يوسف بن عيسى طيب الله ثراه توضح بشكل جلي المكانة التي يتمتع بها رحمه الله في نفوس الكويتيين .

قصيدة للشاعر عبدالله سنان

في رثاء الشيخ العلامة يوسف بن عيسى القناعي

أدركت منزلة الاملاك والبررة ... ونلت مرتبة كالشمس مشتهره

وكنت أكرم من شاهدت في زمن ... تسود أساده الفئران والهرره

منذ الشباب وفي كفيك مشعل نبراس ... لتجلى غشاوات الهوى القذره

وجلت في صالح الاوطان جولتك ... الكبرى فأجليت الأعمى بها بصره

معاهد العلم حتى اليوم شاهدة ... على جهودك منذ الفتح معتبره

ما أشرف العمل المحمود صاحبه ... ونحن نقطف من انتاجه الثمره

أنرت كل طريق وأمسي بيد ... أمينة فغدت وضاءة نضره

ورحت تحكم بالحق المبين فلم ... تترك مجالا لذي جور وذي أثره

لقد بذلت قصارى الجهد محتسبا ... مثوبة من خفي اللطف منتظره

حتى أناخت بك الأيام واختطفت ... منك اليراع وما في سفرها نشره

لكنها رغم أنف الدهر باقية ... آثاره ولنا أن نتبع أثره

مثال بر وتقوى واستقامة أخلاق ... ونكران ذات لم تكن قذره

عشت الكفاف حياة جد هانئة ... وراحة عشتها في الزهد مزدهره

لم ترغب المال عن حرص وعن شره ... ولم ينل منك شيطان الهدى وطره

حتى انتقلت الى دار البقاء الى ... حيث الخلود وحيث الصفوة البرره

وجلل النور جسما طاهرا نفحت ... عليه من ذي الجلال النفحة العطره

طافوا بنعشك والهامات نكسها ... جلال قدرك والآهات منتشرة

والناس حولك والأحزان تلهبهم ... وأدمع القوم يا للهول منهمره

صلوا عليك صلاة فاز شاهدها ... وفاز من حمل الجثمان أو حضره

وأنزلوك برفق والملائكة ... الأبرار حولك رسل الجنة الخضره

قالو سلام عليكم طبتم فلكم ... ما شئتموه ومن نعمائها الخيره

فنلت أجر جهاد أنت باذله ... وتلك خاتمة بالخير مقتصره

يا رب أنزل عليه من سكينـــتك   السمحا وضاعف له آمثـال ما بذره
سحـائب العفـو والغفـران منسكبـا   شؤبـوبها العـذب يهمـي رحمة درره

مجلة مرآة الأمة ١٩٧٣

المصادر والمراجع

أولا : الأوراق الخاصة بالشيخ يوسف بن عيسى .

ــ رسائل من الشيخ يوسف الى احد اصدقائه ٥ جمادى الآخرة ١٣٦٣ والى حاكم الكويت الشيخ عبدالله السالم ٥ ربيع . والى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي ١ ديسمبر ١٩٦٤ .

- وثيقة يعود تاريخها إلى ٢٣ ذي القعدة ١٣٢٣ (١٩٠٥).

ثانيا : وثائق غير منشورة :

ــ يوميات سكرتير المجلس التشريعي خالد العدساني ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩

الوثائق البريطانية :

India - office library and records-

I-o R/15/5/206
R/15/5/1/561
R/15/5/617

L/p15/12 - Fil - 158

Public Records office

F-o 371/109810 - 81583
371/109936 - 81724
371/104264 - 81593
371/109806 - 81795
371/104330 - 81795

مقابلات شخصية :

مقابلات أجريناها مع كل من السادة :

ــ بدر خالد البدر

ـــ سيف مرزوق الشملان
ـــ عبد الرزاق البصير
ـــ حمد يوسف العيسى

مقابلة تليفزيونية مع الشيخ يوسف بن عيسى أجراها الأستاذ سيف مرزوق الشملان يونية ١٩٦٦ .

مقابلة تليفزيونية مع الشيخ عبد الله النوري أجراها السيد رضا الفيلي . ١٩٦٦ . مقابلة تليفزيونية مع السيد عبد الله عبد العزيز السدحان ـــ أجراها الأستاذ سيف الشملان / ١٩٨٧/٥/٢٥ .

المراجع العربية :

ـــ أحمد بن تيمية ـــ مجموع فتاوي شيخ الاسلام احمد بن تيمية ـــ المجلد العشرين الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢هـ ـــ مطابع دار الرياض .
ـــ د. أحمد مصطفى أبو حاكمه ـــ تاريخ الكويت ـــ الجزء الأول ـــ القسم الأول ـــ الكويت ـــ ١٩٦٧ .
ـــ د. بدر الدين عباس الخصوصي ـــ دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي ١٩١٣ ـــ ١٩٦١ ـــ منشورات ذات السلاسل الكويت ١٩٧٢ .
ـــ د. بدر الدين عباس الخصوصي ـــ د. نجاة عبد القادر الجاسم ـــ صناعة السفن في الكويت وأنشطتها المختلفة ـــ اصدار مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـــ ١٩٨٢ .
ـــ بدر خالد البدر ـــ رحلة مع قافلة الحياة ـــ الجزء الأول ـــ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٧ .
ـــ حسين خلف الشيخ خزعل ـــ تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـــ الطبعة الثانية ـــ لبنان ـــ مكتبة مغنية ـــ ١٣٩٢ـــ١٩٧٢ .
ـــ خالد سليمان العدساني ـــ يوميات عن المجلس التشريعي الأول والثاني ـــ غير منشورة . نصف عام للحكم النيابي في الكويت ـــ جمادي الأولى ـــ ٢٥ شوال ١٣٥٧ ـــ الطبعة الثانية ـــ الكويت ـــ مؤسسة فهد المرزوق ـــ ١٩٧٨ .
ـــ خالد سعود الزيد ـــ أدباء الكويت في قرنين ـــ الجزء الأول ـــ الطبعة الثانية ـــ المطبعة العصرية الكويت ـــ ١٩٦٧ .
ـــ خالد الحسن ـــ الكويت بأقلام نخبة من كتاب العرب ـــ دار الكاتب العربي ١٩٦٥ .

ــ خالد بن أحمد السلمان ـ معجم مدينة الرياض. دار الملك عبدالعزيز ـ المملكة العربية السعودية.

ــ خير الدين الزركلي ــ الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ــ المجلد الثامن ــ الطبعة الخامسة ــ دار العلم للملايين ــ بيروت لبنان ــ ١٩٨٠ .

ــ ديكسون - الكويت وجاراتها - الجزء الأول - صحاري للطباعة والنشر ١٤٢٠ - ١٩٩٩.

ــ سيف مرزوق الشملان ــ من تاريخ الكويت ــ الطبعة الثانية ــ منشورات ذات السلاسل ــ الكويت ــ ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .

ــ د. سليمان محمد الطماوي ــ السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة ــ وفي الفكر السياسي الاسلامي ــ دراسة مقارنة ــ الطبعة الرابعة ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ ١٩٧٩ .

ــ صالح عبد الملك الصالح ــ تطور التعليم في الكويت ــ رابطة الاجتماعيين الكويت ــ محاضرات الموسم الثقافي ــ ١٩٦٨ .

ــ ظافر القاسمي ــ نظام الحكم في الشريعة الاسلامية والتاريخ الاسلامي السلطة القضائية ــ دار النفائس ــ بيروت الطبعة الأولى ــ ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م .

ــ د. عادل الطبطبائي ــ السلطة التشريعية في دول الخليج العربي ــ نشأتها وتطورها ــ العوامل المؤثرة بها ــ منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ــ (١٤) الكويت ــ ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

ــ عبد الله بن خالد الحاتم ــ من هنا بدأت الكويت ــ مطابع دار القبس ــ الكويت ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

ــ عبد الله النوري ــ قصة التعليم في الكويت . في نصف قرن ١٣٠٠ ــ ١٣٦٠ مطبعة الاستقامة مصر ــ سنة الطبعة غير مذكورة .

ــ عبد العزيز رشيد ــ تاريخ الكويت ــ منشورات دار مكتبة الحياة ــ لبنان بيروت .

ــ عبد العزيز حسين ــ محاضرات عن المجتمع العربي بالكويت ــ معهد الدراسات العربية العالية ــ القاهرة ــ ١٩٦٠ .

ــ عبد العزيز عبد الرزاق المطوع ــ مذكرة حول الشيخ يوسف ــ خاصة بهذه الدراسة .

ــ فوزية العبد الغفور ــ تطور التعليم في الكويت ــ ١٩١٢ ــ ١٩٧٢ ــ مكتبة الفلاح ــ الكويت ــ ١٤٠٣ ــ ١٩٨٣ .

ــ محمد عزة دروزة ــ نشأة الحركة العربية الحديثة ــ صيدا بيروت ــ الطبعة الثانية ربيع الآخر ١٣٩١ ــ حزيران ١٩٧١ .

ــ محمد محمد صالح ــ مذكرة حول نشأة وتطور المكتبة الأهلية .

ــ د. نجاة عبد القادر الجاسم ــ التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين ١٩١٤ ــ ١٩٣٩ .
الانجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ .
بلدية الكويت في خمسين عاما ــ اصدار بلدية الكويت ــ ١٩٨٠ .
ــ وزارة العدل ــ جلدا عدساني ١٣٥٠هـ ــ نمره ٢ .
محضر افتتاح دائرة التمييز ــ نوفمبر ١٩٧٢ .
أعلام في تاريخ القضاء الكويتي .
ــ وزارة التربية ــ الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ــ مدرسة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ١٩٧٦ .
ــ يوسف بن عيسى القناعي ــ صفحات من تاريخ الكويت . ــ مصر ــ مطبعة الاستقامة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م
ــ الملتقطات ــ حكم وفقه وأدب ــ وزارة (الارشاد والأنباء) سابقا الاعلام حاليا ١٣٦٧هـ .
ــ يوسف شهاب ــ رجال في تاريخ الكويت ــ الجزء الأول ــ مطابع دار القبس ١٩٨٤ .
Dr. Ali Abdel Moneim - Abdel Hamid Histoire sociale - Koweit 1718 - 1971 - Universite De paris - Sciences Humaines sorBonne These - pourle Doctorat - D'etat - 1972 Dactylo - Sorbonne - paris - 1972.

المجلات والدوريات :

ــ مجلة الكويت ــ الجزء ٦ ــ المجلد الأول ــ شهر صفر ١٣٤٦ .
ــ مجلة الايمان ــ السنة الأولى ــ العدد ٥ آيار ١٩٥٣ .
ــ مجلة البعثة ــ السنة الرابعة ــ العدد الثاني ــ جمادي الأولى ــ ١٣٦٩ ــ فبراير ١٩٥٠ .
ــ المجلة التاريخية ــ السنة الثالثة عشرة ــ العدد ٤١ــ٤٢ يونية (جوان) ١٩٨٦ تونس .
ــ مجلة مرآة الأمة ١٩٨٣/٧/١٢ .
ــ أعداد مجلة الكويت مارس ١٩٢٨ إلى مارس ١٩٣٠، أصدرها عبدالعزيز رشيد، دار قرطاس للنشر، الكويت ١٩٩٩.

على النبي المصطفى والآل والصحب اهل العلم والكمال

والله سبحانه وتعالى اعلم

تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه على يد
الفقير عثمان ابن علي ابن محمد بن سرك الجناجي
نسبا والشافعي مذهبا والقرني مولدا
وصلى الله على سيدنا ونبينا و
مولانا محمد وعلى اله و
صحبه وسلم والحمد
لله رب
العالمين

كتبت وقد ايقنت يوم كتابتي	بان يدي تفنى ويبقى كتابها
فان عملت خيرا تجازا به	وان عملت سوءا علينا حسابها
فيا قارئ الخط الذي قد كتبته	تفكر في يدي رما قد اصابها
فاما نعيم في الجنان مخلدا	واما جحيم لا يطاق عذابها

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره الغافلون
فلوت امين
امين

الفهرس

الفصل الأول
المولد والنشأة

الفصل الثاني
دور الشيخ يوسف بن عيسى في نشر العلم بالكويت

الشيخ يوسف والقضاء

الفصل الرابع
دور الشيخ يوسف في الحياة النيابية والسياسية

موقف الشيخ يوسف من مشكلة المسابلة بين الكويت ونجد

الفصل السادس
دور الشيخ يوسف في الحياة العامة